الفصل الثانى

العهد السفيانى

(٤٠-٦٤ هـ/ ٦٦٠-٦٨٣م)

معاوية بن أبى سفيان بن حرب[1] **(٤٠هـ/٦٦٠-٦٧٩م):**

استطاع معاوية بن أبى سفيان أن يؤسس دولة جديدة هى الدولة الأموية فى أعقاب الدولة الراشدة، بعد أن خطط لهذا الأمر منذ أمد طويل، عندما كان واليًا على بلاد الشام بما يقرب من عشرين عامًا ثبت فيها ركائز حكمه ونفوذه ونجح فى كسب الأعوان والمناصرين له بطرق ووسائل متعددة بعد أن سخر إمكاناته وقدراته الذاتية والإدارية والمالية من أجل تحقيق هذه الغاية، فأظهرت هذه الإمكانات نتائجها لصالحه عندما أعلن عن قيام خلافته، فمالت إليه موازين القوى فى ذلك الوقت فزادت قوته وعلا بنيان دولته.

وفى باب الشعر كان لمعاوية اهتمامات واضحة به من خلال كثرة تداول الشعر فى مجالسه ورعايته للشعراء وإغداقه الأموال عليهم وتسامحه معهم حتى وإن هجوه فى شعرهم، ويعكس هذا التوجه حالة من النزوع العام عند الناس نحو الشعر وتأثيره الكبير فى نفوسهم، فأراد أن يكسبهم إلى جانبه ويجعلهم أحد أدوات تثبيت أركان دولته، وكان "يحتفظ عنده بأشعار مكتوبة لبعض الشعراء ليعود إليها عندما يعجز جلساؤه، أن يأتوا بها من حفظهم"[2]، لذا كان يقول: "الشعر أعلى مراتب

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبد مناف، ولد بمكة ونشأ فيها. بويع بالخلافة سنة (٤٠هـ/ ٦٦٠م) قبل أن يتم الصلح بينه وبين الحسن بن علي في سنة (٤١هـ/ ٦٦١م)، فلما تم له الأمر سُمي هذا العام بعام الجماعة لاجتماع الأمة على خليفة واحد. ترجمته ابن سعد: الطبقات، ٧/ ٤٠٦؛ ابن حجر: الإصابة، ٣/ ٤٣٣.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت، ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): أنساب الأشراف، نشره ماكس شلو يسنجر، القسم الرابع – الجزء الألو (القدس، ١٩٧١م)، ١١٣.

الأدب.. اجعلوا الشعر أكبر همكم، وأكثر دأبكم"[1] وكان يعتقد أيضًا بأن الشعر هو ديوان العرب والدليل على أحاديثها وأفعالها[2] لذا نال منه الشعر اهتمامًا خاصًا، فقد تسامح مع الشعراء وتغاضى عن زلاَّتهم لحاجته إلى شعرهم فى دعم خلافته.

تحرَّك الخوارج سنة (٤٢هـ/ ٦٦٢م)[3] فحرضهم حيان بن طبيان[4] السلمى بقوله:

خليلى ما بى من عَزاءٍ ولا صَبرِ ... ولا إربَةٍ بعد المصابين بالنَّهرِ
سوى نهنهات فى كتائبَ جَمةٍ ... إلى اللهِ ما تدعونى الله ما تفرى
إذا جاوزت قسطانة الرِّى بغلتى ... فلَستُ بسارٍ نَحوها آخرَ الدَّهرِ
ولكننى سارٍ وإن قلَّ ناصرى ... قريبًا فلا أخزيكُما، مَعَ مَن يَسرى[5]

عندما ظهرت جماعات مناوئة للدولة الأموية تحت تسميات مختلفة، اعتمدت أيضًا على الشعر لتوصيل أفكارها وعقائدها وتوثيق مواقفها ووقائعها، فالشعر الذى جاء من هذا الاتجاه كان واحدًا من موارد المؤرخ عندما دون تاريخه لما يحويه من معلومات وفيرة، فالخوارج الذين ناصبوا الدولة الأموية العداء منذ أيامها الأولى كان لشعرهم فى مناسبات وأزمان عديدة أثره فى توثيق تاريخهم، وله مآرب وأهداف كثيرة منها تحريضهم على القتال.

وفى ولاية المغيرة بن شعبة[6] (ت، ٥٠هـ/ ٦٧٠م) على الكوفة كان له دور فى مطاردة الخوارج وإضعاف حركتهم، فعندما حبس المغيرة بعضهم فى

---

(١) ابن رشيق: العمدة، ١/ ٢٩.
(٢) الجرهمي: أخبار اليمن، ٣٣٦.
(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ١٧٣.
(٤) كان ممن ارتد يوم النهروان وعزم على الخروج. ينظر: البلاذري: أنساب، تحقيق إحسان عباس (نشر فرانتس شتاينر بفيسبادن، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م) ٤-١/ ١٤٣؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ١٧٥.
(٥) شعر الخوارج، ٤٤؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ١٧٤.
(٦) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، صاحبي وإداري داهية. (ت، ٥٠هـ/ ٦٧٠م). ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٢٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٥/ ٢٤٧.

سنة (٤٣هـ/ ٦٦٣م)[١] قال أحد شعرائهم، معاذ بن جوين بن حصين الطائى[٢] يحرضهم على القتال والثورة:

ألا أيها الشارون قد حانَ لامرئ ... شَرَى نَفسهِ للهِ أن يترجَلا
أقمتُم بدارِ الخاطئين جَهالَةً ... وكلُّ امرئ منكم يُصاد ليُقتَلا
فشُدوا على القومِ العُداةِ فإنما ... أقامتكُم للذبحِ رايًا مُضلّلا
ألا فاقصِدوا يا قوم للغايةِ التى ... إذا ذُكرت كانت أبرَّ وأعدَلا
فياليتنى فيكم على ظَهرِ سابحٍ ... شديدِ القُصيرى دارِعًا غيرَ أعزَلا
فياليتنى فيكم أعادى عدوكم ... فَيسقينى كأسَ المنيةِ أولا
يَعزُّ على أن تخافوا وتُطردوا ... ولما أجُرد فى المُحلّينَ مُنصُلا
ولما يفرّق جَمعَهم كلُّ ماجِدٍ ... إذا قلتُ قد ولّى وأدبَرَ، أقبَلَا[٣]

كان أعداء الخوارج يتوجسون منهم خيفة ويهابونهم لما كانوا عليه من صلابة واندفاع نحو القتال فلا يخافون الموت لأنهم اشتروا أنفسهم من الله تعالى، إذ تبدو عقيدة الخوارج الشراة واضحة فى هذا الشعر، فهو يصفهم بالشارين ويصف أعداءهم بالخاطئين حين يحرضهم على القتال ويتمنى أن يكون معهم ليشارك فى قتال عدوهم، وهذا ما يجعل الشعر مؤثرًا فى تدوين الأحداث.

واحتدم القتال بين الأمويين والخوارج فى سنة (٤٣هـ/ ٦٦٣م)[٤] من أصحاب المستورد بن عُلفة الخارجي[٥] (ت، ٤٣هـ/ ٦٦٣م)، فكان عمير بن أبى شاءة[٦] يضاربهم قدمًا بسيفه ويرتجز:

---

(١) الطبري: تاريخ، ٥/ ١٨٧.
(٢) معاذ بن جوين بن حصين الطائي السنبسي، وهو ممن ارتد يوم النهر. ينظر: البلاذري: أنساب، ٤-١ / ١٤٦؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ١٨٧ وفيه اسمه معاويه.
(٣) شعر الخوارج، ٤٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ١٨٧.
(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ١٩.
(٥) ينظر ترجمته، الطبري: تاريخ، ٥/ ١٨١؛ ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائني (ت، نحو ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م): شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الرابع (دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ١٤٣.
(٦) أخباره في الطبري: تاريخ، ٥/ ١٦٨.

قَـد عَلِمـت أنّـى إذا مـا أقـشَعوا عَنّـى والـتاثَ اللـئامُ الوُضَّـعُ
أحَـوسُ عـندَ الـروع نـدبٌ أروَعُ [1]

ودعا الشاعر عبدالله بن الزّبير الأسدى[2] لأخذ العبرة من موت عمرو بن العاص[3] (ت، ٤٣هـ/ ٦٦٣م)[4] فقال:

ألم تـر أنَّ الدهـرَ أخـنت صـروفُه على عَمرٍو السهمى تُجبى له مصرُ
فلَـم يغـنِ عـنهُ حـزمُهُ واحتـيالُه ولا جمعـهُ لمـا أُتـيحَ لَـه الدهـرُ
وأمـسى مُقـيمًا بالعَـراء وضـللت مكايـدهُ عـنه وأمـوالُه الدَّثـرُ[5]

كأن الشاعر يشمت بعمرو فلم يغن عنه المال والسلطان، ويغمز السياسة الأموية بصورة غير مباشرة.

وعندما استلحق معاوية بن أبى سفيان نسب زياد[6] معه بأبيه فى سنة (٤٤هـ/ ٦٦٤م)[7] كان له هدف سياسى واضح فى ذلك فقال:

أمـا والـذى نـادى مـن الطـور عـبدَه نِـداءً سَـميعًا فاسـتجابَ وسـلّما
لقـد كِـدتُ، لـولا الله لا شـيءَ غيرُه تـباركَ ربـى ذو العـى، أنـا أُصـمما

---

(١) نفسه، ٥/ ١٩٨.

(٢) شاعر كوفي (ت، ٧٩هـ/ ٦٩٤م). ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٤/ ١٠٨؛ البغدادي: خزانة الأدب، ٢/ ٢٦٤.

(٣) عمرو بن العاص السهمي القرشي، صحابي. ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٧/ ٤٩٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٤/ ٢٤٤.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٩٠.

(٥) الأسدي، عبدالله بن الزَّبير (ت، نحو ٧٥هـ/ ٦٩٤م): ديوانه، تحقيق يحيى الجبوري (دار الحرية، بغداد، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ٧٩.

(٦) يعرف بزياد بن أبيه، استعمله علي ومعاوية فكان من الولاة الأشداء (ت، ٥٣هـ/ ٦٧٢م).
ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٩٩؛ الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت،٣٣١هـ/ ٩٤٢م): الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وغبراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي (مطبعة مصطفى البابي والحلبي وأولاده، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، ٢٥.

(٧) ابن خياط: تاريخ، ١م١٩١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢١٤.

ولكننى رويت فى الحِلمِ والنُهى وقد قالَ فيه ذو الكمالِ، فأحكمَا[1]

فكأنه يرد بذلك بدهاء على عبدالرحمن بن الحكم[2] الذى كان يخاطبه:

أترضى يا معاويةَ بن حَربٍ بأن تَحبو كرائمِكَ العَبيدا
كأنى والذى أصبح عبدًا له بالقومِ قد شاركوا يزيدا
فإن تَرجع فمثلك زادَ خيرًا وإن تأبَ فلم تُطع شديدا[3]

وإلى عبدالرحمن بن الحكم نسبت أبيات رويت ليزيد بن مفرغ الحميرى[4] قال فيها:

ألا أبلِغ معاوية بن حَربٍ مُغلغلةً من الرجلِ الهجانِ
أتغضبُ أن يقال أبوك عفٌ وترضى أن يقال أبوك زانِ
فأشهد أن رحمَكَ من زيادٍ كرحمِ الفيلِ من ولدِ الأتانِ
وأشهد أنها ولت زيادًا وصَخرٍ من سميةَ غير دانى[5]

---

(١) معاوية بن أبي سفيان (ت، ٦٠هـ/ ٦٢٩م): ديوانه، تحقيق فاروق سليم بن أحمد (دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٦م)، ١١٦.

(٢) هو عبدالرحمن بن الحكم بن أبي العاص الأموي، شاعر إسلامي متوسط محسن (ت، ٧٠هـ/ ٦٨٩ م).

ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٢٦٠، الكتبي، محمد بن شاكر (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، الجزء الثاني (دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ)، ٢٧٧.

(٣) ابن بكار، الزبير بن بكار (ت، ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني (رئاسة ديوان الأوقاف، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢م)، ١٧٧.

(٤) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، شاعر معروف (ت، ٦٩هـ/ ٦٨٨م).

ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٦٨١؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٢٧٦.

(٥) ابن مغرغ، يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري (ت، ٦٩هـ/ ٦٨٨م): ديوانه، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ٢٣٠-٢٣٢. ونسبت الأبيات لعبد الرحمن بن الحكم، ينظر: الجاحظ: الحيوان، ١/ ١٤٦، ٧/ ٧٣؛ ابن بكار: الموفقيات، ١٧٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٢٦٦.

يمثل هذا الشعر نقدًا لاذعًا يحاول أن ينتصر لمناوئى الخلافة الأموية، فقد كان ابن مفرغ غير ميال للأمويين، فاستغل إجراء معاوية هذا للنيل منه، وهذا ما يجعل الشعر صورة حية للصراعات السياسية.

واعتمد معاوية على زياد بن أبى سفيان اعتمادًا كبيرًا فى تثبيت أركان دولته فولاه البصرة وخراسان[1] وسجستان[2] والهند والبحرين وعمان فى سنة (٤٥هـ/ ٦٦٠م)[3] فكان وفيًا على ولايته وانقياده لخليفته وألزم الناس الطاعة للدولة وشد من أمر السلطان مخافة الناس وجمع إليه أعمدة القوم ليغدق عليهم الأموال، وفى ذلك يقول حارثة بن بدر الغُدانى[4]:

ألا مَـن مُـبلغ عنـى زيـادًا ... فـنعمَ أخـو الخلـيفة والأمـيرُ!
فأنـتَ إمـامُ مَعدلـةٍ وقَـصدٍ ... وحمـزٍ حـين تحـضرُك الأُمـورُ
أخـوك خلـيفة الله ابـن حـربٍ ... وأنـتَ وزيـرهُ، نعـمَ الوزيـرُ
تُـصيب علـى الهـوى مـنه وتأتـى ... مُحـبك مـا يُجـنُّ لـنا الـضميرُ
بأمـرِ اللهِ منـصورٌ لمـا أرادوا ... إذا جـار الـرعيَة لا تجـورُ
يَـدُّ علـى يـديكَ لمـا أرادوا ... مـن الدنـيا لهـم حَلـبٌ غزيـرُ
وتقـسم بالـسَّواءِ فـلا غـنيٌّ ... لـضَيم بـشتكيكَ ولا فقـيرُ
وكـنتَ حـيًا وجـئت علـى زمـانٍ ... خَبـيثٍ، ظاهِـرٌ فـيه شـرورُ
تقاسمَـتِ الـرجالُ بـهِ هـواها ... فمـا تُخفـى ضَـغائِنَها الـصُّدُورُ

---

(١) خراسان: بلاد واسعة مما يلي العراق كما في ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٣٥٠ (خراسان).

(٢) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة تليها خراسان. نفسه، ٣/ ٩٠ (سجستان).

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢١٧.

(٤) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة اليربوعي، شاعر أموي (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٣ م).

ترجمته: الأصفهاني: الأغاني ٢٣/ ٤٤٤؛ ابن عساكر، علي بن هبة الله الشافعي (ت، ٥٧١هـ/ ١١٧٥ م): تاريخ دمشق الكبير، تحقيق وتعليق أبو عبدالله علي عاشور الجنوبي، الجزء الثالث عشر (دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ١٩٧.

وخـافَ الحاضـرون وكـلُّ بـادٍ ... يُقـيمُ علـى المخافـةِ أو يَـسيرُ
فلمـا قـامَ سـيفُ الله فـيهم ... زيـادٌ قـامَ أبلـجُ مُـستَنيرُ
قـوى لا مـنَ الحـدثانِ غِـرٌّ ... ولا جَـزِعٌ ولا فـانٍ كَـبيرُ[1]

لقد أرخ هذا الشعر لظهور منصب الوزارة فى الدولة العربية الإسلامية فى أيام معاوية بن أبى سفيان، وليس كما جرت العادة بأن الوزارة لم تظهر إلا أيام العباسيين، كما تضمن إشارات واضحة تكشف عن مظاهر سياسة زياد وأسلوب تعامله مع الرعية، حتى أن الشاعر وصفه بالوزير ونعم الوزير لأنه ضبط مساحة مهمة مضطربة من رقعة الدولة؛ فكان يبذل للقريبين منه ويلتزم جانب الشدة للبعيدين عنه، ولكن معاوية الذى تميز بالدهاء كان يرغب أن يعطى المال حتى من هم بعيدون عنه لأنه سيؤدى إلى تليين مواقفهم منه كقوله لزياد حين جفا الحسن بن على:

تـدارك مـا ضـيعتَ مِـن بَعـدِ خِـبرةٍ ... وأنـتَ أريـبٌ بالأمـور خـبيرُ
أمـا حـسنٌ فـابن الـذى كـان قـبلَه ... إذا سـارَ سـارَ المـوتُ حـيث يـسيرُ
وهـل يلـدُ الـرئبالُ إلاَّ نظـيرَهُ؟ ... فـذا حَـسَنٌ شِـبهٌ لَـهُ ونَظـيرُ
ولكـنه لا يُـوزنُ الحِلـم والحِجـا ... بـرأى، لقالـوا، فـاعلَمن: ثَـبيرُ[2]

فدلل بذلك الحلم وتصريف الأمور بالشكل الحسن والطيب مع الخصوم وعدم الانجرار إلى المواجهات الساخنة مع معارضيه، فعبر عن سياسة حكيمة تعمل على ردم الفجوات.

وبقيت معارك خالد بن الوليد[3] (ت، نحو ٢٢هـ/ ٦٤٣م) فى الشام واضحة فى

---

(١) الغداني، حارثة بن بدر (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٤م): شعره، ضمن شعراء أمويون، دراسة وتحقيق نوري حمودي القيسي، القسم الثاني (دار الكتب للطباعة، الموصل، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) ٣٤٤-٣٤٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) معاوية، ديوانه، ٧٢.

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة لقرشي المخزومي: ترجمته: ابن سعد، الطبقات، ٧/ ٣٩٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٢/ ١٠٩.

تأثيراتها على الأحداث بالمنطقة، فهى التى هيأت الظروف المناسبة لمجيء معاوية واليًا على الشام، فلما تواصل بعده ابنه عبدالرحمن بن خالد بن الوليد[1] (ت، ٤٦ هـ/ ٦٦٦م) خلال غزواته لبلاد الروم فى خلافة معاوية أظهر حزمًا عسكريًا كابيه، وحين شتى سنة (٤٦هـ/ ٦٦٦م) قال مرتجزًا:

أنـــا بـــنُ ســـيفِ اللهِ فاعرفونـــى ... لم يـــبقَ إلا حـــسبى ودينـــى

وصـــارُم صَـــلَّ بـــهِ يمينـــى [2]

فمال إليه الناس والتفوا حوله، حتى ليقال بأن معاوية قد اغتاظ منه واغتاله فى حمص[3]، بسبب ميله إلى عبدالله بن عباس رضى الله عنه كما فى قوله:

كنا نقول: ابن حرب أحلمُ الناس ... حتى تصلى ضحى نار ابن عباسِ

مـــاذا أراد إلـــيه بعـــد تجـــربةٍ ... مـــنه وبعـــد جـــراحٍ مالَهـــا آسِ

يرجو سِقاطَ امرئ لم يرج سقطتَهُ ... عـند الخطـابِ لـه راجٍ مـن الـناسِ

أنحى الشفار التى ما إن يقوم لها ... لحمٌ وفى العظمِ منهُ ضربةُ الفاسِ

وقـد قَـرَّتِ العـينُ والأقـدارُ غالـبةٌ ... لما رأيتُ ابنِ هندٍ ناكسَ الراسِ

لا يـرفع الطَّـرفَ ذلاً حـين قـرره ... بالحقِّ هـذا ومـا بالحـقِّ مـن بـاسِ[4]

يتضمن هذا الشعر تعريضًا بمعاوية زاده استياء استشارة معاوية لأهل الشام

---

(١) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي.
ترجمته: الجهشياري: الوزراء، ٢٧؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب، ٢/ ٤٠٨.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٢٧-٢٢٨.

(٣) ابن حبيب، محمد بن حبيب البغدادي (ت، ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م): أسماء المغتالين من الأشراف في الداهلية والإسلام، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الجزء الثاني (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م)، ١٦٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٦٦.

(٤) مؤلف مجهول (القرن الثالث الهجري/ التاسع العاشر الميلادي): أخبار الدولة العباسية، تحقيق عبدالعزيز الدوري وعبدالجبار المطلب (دار الطليعة للطباعة والنشر، مطابع دار صادر، بيروت، ١٩٧١م)، ٥٢.

فيمن يولى أمره من بعده، فأشاروا عليه بعبدالرحمن بن خالد فأضمرها فى نفسه[1].
فلما مات سأل معاوية كعب ابن جعيل التغلبى عما قاله فيه لأنه كان صديقًا لعبدالرحمن فقال:

ألا تَبكى وما ظَلمت قريشٌ ... بإعوالِ البكاءِ على فَتاها
ولو يُئِلَت دمشقُ وأهل حمص ... وبُصرى من أتاحَ لكم قراها
فسيف اللهِ أدخلها المنايا ... وهدَّم حصنَها وحمى حِماها
وأسكنها معاوية بن حَربٍ ... وكانت أرضُه أرضا سِواها[2]

وكأن معاوية يشمت بابن جعيل، فجاء شعره ردًا غير مباشر عليه، وبأن فتح الشام وملك معاوية هى من ثمرات خالد بن الوليد، فكان رثاؤه لعبدالرحمن يتضمن استمرار فضل ابيه فى فتوح الشام والعراق، ومنه قوله:

أبوك الذى قاد الجنود مغرِّبًا ... إلى الروم ما أعطت الخَرجَ فارِسُ[3]

وعندما توجهت الجيوش الإسلامية نحو بلاد الروم فى سنة (٤٩هـ/ ٦٦٩م)[4] كانت بقيادة يزيد بن معاوية حين قال:

وما أبالى إذا لاَقت جموعُهم ... بالخذقدونة[5] من حِمى ومن موم
إذا اتكأتُ على الأنماطِ مُرتفعًا ... بدير مُرّان[6] عنَ أمُ كلثوم[7]

---

(١) ابن حبيب: أسماء المغتالين، ٢/ ١٦٨.
(٢) نفسه، ٢/ ١٦٩.
(٣) ابن بكار، الزبير (ت، ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م): جمهرة نسب قريش وأخبارها، إشراف حمد الجاسر، الجزء الثاني (دار اليمامة، الرياض، لطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ٧٣٦. ينظر: ٧٣٧.
(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٣٢.
(٥) الخاذقونة: الثغر الذي فيه المصيصة وطرسوس وغيرها. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٤٩ (حندقدونة).
(٦) مُران: موضع بالشام قرب دمشق. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٥٩ (مران).
(٧) يزيد بن معاوية (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٣م): شعره، جمع وتحقيق صلاح الدين المنجد. (دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م)، ٣٠.

وعندما وصلت هذه الجيوش أسوار القسطنطينية[1] قال يزيد وهو يصف ما أصاب المسلمين المقاتلين من أمراض:

تجَنَّـــى ، لا تَـــزالُ تَعـــدُّا ذنـــبًا ... لـتقطَعَ حـبلَ وصـلِكَ مـن حِـبالى

فيوشِـــكُ أن يُـــريحكَ مـــن بَلائـــى ... لنـــزولى فـــى المَهالِـــكِ وارتحـــالى[2]

وفى سنة (٤٩هـ/ ٦٦٩م)[3] مات الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه [4] فقال الجرود[5] بن أبى سبرة:

إذا كـــان شـــرٌّ ســـار يـــومًا ولـــيلةً ... وإنَ خـــيرُ قـــصد الـــسّير أَربعـــا

إذا مـــا يـــريدُ الـــشَّرُ أقـــبل نحـــونا ... لإحدى الدواهى الربد جاء فأسرعا[6]

وبذلك تلازم الشعر مع طبيعة الأحداث فعبر عن الواقع وحياة الناس وهواجسهم الذاتية، فالشعر رافد من روافد توثيق الحدث ووصف الظروف المحيطة به وبالناس الذين يعايشونه.

وفى سنة (٤٩هـ/ ٦٦٩م)[7] وقع الطاعون فى الكوفة، فهرب المغيرة بن شعبة فلما ارتفع رجع فمات، فمر أعرابى بقبره وهو يدفن فقال:

أرســـمَ ديـــارٍ للمغـــيرةِ تعـــرفُ ... علـيها دَوى الأنـس والجِـنُ تَعـزِفُ

---

(١) دار مملكة الروم وعاصمتها ملكها قسطنطين الكبر وسماها بذلك. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٣٤٧ (قسطنطينية).

(٢) يزيد بن معاوية: شعره، ٢٩.

(٣) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٩٤.

(٤) صحابي معروف. ترجمته: الزبيري، المصعب بن عبدالله بن المصعب (ت، ٣٢٦هـ/ ٨٥٠م): نسب قريش، نشر إ. ليفي بروفنسال (دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م)، ١٩٦؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٢/ ١٠.

(٥) أبو نوفل الهذلي البصري (ت، ١٢٠هـ/ ٧٣٧م). ترجمته: ابن حبان، الثقات، ٤/ ١١٤؛ ابن حجر: تهذيب، ٢/ ٤٦.

(٦) البلاذري: أنساب، ٣/ ١٦-١٧.

(٧) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٣٢.

فإن كنت قد لاقيتَ هامانَ بعدنا وفرعونَ فاعلم أن ذا العرشِ مُنصِفُ[1]

صار الشعر الذى يرد فيه ذكر الأشخاص يؤثر فى حفظ الحدث التاريخى، مما يجعل عامل النسيان أقل حضورًا، كما فى قول هذا الأعرابى فى موت المغيرة بن شعبة سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م) بعد أن حاول الهرب من الطاعون الذى حل بالكوفة.

كان زياد بن أبى سفيان قد طلب أوفى بن حصن الطائى سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م)[2] فهرب منه، فلما ظفر به قال لزياد:

إن زيـــادًا أبـــا المغـــيرة لا يعجـــلُ والـــناس فـــيهم عَجِلَـــهْ
خِفـــتُكَ والله فـــاعلَمنْ حَلِفِـــى خـــوفَ الحفافِـــيثِ صَـــولَة اَصَـــلَهْ
جـــئتُ إذ ضـــاقَتِ الـــبلاد فلَـــم يكُـــن علـــيها لخائِـــفٍ وآَلَـــهْ[3]

ولكن زيادًا لم يسمع منه اعتذاره فقتله، فقال فى هذه الحادثة عبدالله بن هَمَّام السَّلولى[4]:

خَـيّبَ اللهُ سـعى أوفـى بـن حِـصنٍ حـــين أضـــحى فـــروّجَةَ الـــرقاءِ
قـــادُه الحَـــينُ والـــشَّقاءُ إلى لَـــيثِ عَـــرينٍ وحـــيَّةٍ صَـــمَّاءِ[5]

وقد بدا تأثير بيئة الصحراء على الشعر واضحًا فى هذه الأبيات، وبدا أيضًا أن الشعر لا يزال يرتكز فى لغته على المفردات البدوية، لما له من أثر كبير فى النفوس؛ وذلك عندما شبه زيادًا بالأسد والحية كناية عن الشدة والقوة فى العمل، والقدرة

(١) المسعودي: مروج، ٣/ ٢٤.
(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٣٥.
(٣) نفسه.
(٤) من بني حرة بن صعصعة، وسَلول أم بني مرة. شاعر أموي وخطيب فصيح، (ت، ٩٥-١٠٠هـ/ ٧١٣-٧١٨م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٢٤٥؛ البكري: سمط، ٢/ ٦٨٣.
(٥) السلولي، عبدالله بن هَمام (ت، ٩٥-١٠٠هـ/ ٧١٣-٧١٨م): حياته وما تبقى من شعره، تحقيق نوري حمودي القيسي: مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٣٧)، الجزء (الرابع)، (بغداد، ربيع الأول ١٤٠٧هـ/ كانون الأول ١٩٨٦م)، ١٨٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٣٦.

على الوصول إلى الخصم ومطاردته، كما وثق شعر السلولى ذكر أولى وخيبته فى اعتذار من زياد.

وعندما طلب زياد الفرزدق[1] فى سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م)[2] هرب منه إلى الحجاز، ولقيه فى طريقه أسد فقال:

ما كنتُ أحسبنى جبانًا بعدما ... لاقيتُ ليلةَ جانبَ الأنهارِ
ليثًا كأنَّ على يديهِ رِحالةً ... جَسد البَراثِنِ مُؤجَدَ الأظفارِ
لما سَمِعتُ له زمازِمَ أقبلَت ... نفسى إلى وقلت أينَ فرارِى!
فضَربتُ جِروتَها وقُلتُ لها اصبرى ... وشدَدت فى ضَيقِ المُقام إزارِى
فلأنتَ أهونُ من زيادٍ جانِبًا ... فاذهَب إليكُ مخرَّمَ السَّفارِ[3]

وعندما قيلت هذه الأبيات فى حضرة زياد قال: "لو أتانى لأمنته وأعطيته"[4]، فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

تَذكَّر هذا القَلبُ من شوقِهِ ذِكرَا ... تَذكُّر شَوقًا ليس ناسَيْه عَصرَا
تَذكَّر ظَمياءَ التى ليس ناسيًا، ... وإن كان أدنى عهدِهَا حِجَجًا عَشرا

إلى أن يقول:

دعانى زيادٌ للعطاءِ ولوم أَكُنْ ... لأقربَهُ ما ساقَ ذو حسَبٍ وَفَرا
وعندَ زيادٍ لو يريدُ عطاءَهم ... رجالٌ كثيرٌ قد يَرى بِهُم فَقرا

---

(١) هو همام بن غالب بن صعصعة من دارم التميمي (ت، ١١٥هـ/ ٧٣٣م): ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٣٨١؛ المرزباني، محمد بن عمران بن موسى (ت، ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م): معجم الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م)، ٤٦٥.

(٢) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١٦؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤١-٢٤٦.

(٣) الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة (ت، ١١٥هـ/ ٧٣٣م): ديوانه، الجزء الأول (دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ٢٥٧؛ أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٧.

(٤) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١٦؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٧.

قُعودٌ لدى الأبوابِ طُلّاب حاجَةٍ ... غَوَانٍ من الحاجاتِ أو حاجةً بِكرا
فلما خَشيتُ أن يكونَ عطاؤهُ ... أداهِمَ سُودًا أو مُحدرَجَةً سُمرا[1]

لقد أصبح الشعر وسيلة مؤثرة فى كسب ولاء القبائل وصار الشعراء أدوات إعلامية لنشر الأحداث فيما بين الأمصار، ولذلك توجه الأمويون ومنذ أيام معاوية إلى تقريب الشعراء ومنحهم الأعطيات، وكانت السياسة الأموية العامة متى ما صار تباعد بين الشاعر وأحد الولاة فإنه يصار إلى احتضان هذا الشاعر مِنْ قِبلِ والٍ آخر ليبقى ضمنَ دائرةِ الوَلاءِ الأموى، فعندما وقع التباعد بين الفرزدق والوالى زياد بن أبى سفيان احتضنه والى المدينة سعيد بن العاص (ت، ٥٨هـ/ ٦٧٧م) فأنشد فى حضرته[2]:

إليكَ فررتُ مِنكَ ومِن زِيادٍ، ... ولَم أَحسبْ دَمى لكُما حَلَالا
ولكنّى هجوتُ، وقد هَجَتنى ... مَعاشِرُ قد رَضَختُ لَهُم سِجَالا
فإن يكُنْ الهِجاءُ أَحلَّ قتلى، ... فَقد قُلنا لشاعرِهِم، وقالا
تَرى الشُمَّ الجَحاجِح من قُريشٍ ... إذا ما الأمر فى الحدثانِ عَالا
بنى عمِّ الرَّسُولِ ورَهطَ عَمروٍ، ... وعُثمانَ الذين علوا فَعَالا
قِيامًا ينظرون إلى سعيدٍ، ... كأنَّهم يَرون بهِ هِلَالا[3]

ومن المدينة بعث الفرزدق برسالة شعر إلى زياد قال فيها:

ألا مَن مُبلغٌ عنى زيادًا ... بأنى قَد لجأتُ إلى سعيدِ
وإنّى قَد فَررت إليهِ مِنكُم ... إلى ذى المجدِ والحَسَبِ التليدِ
فِرارًا مِن شَتيمِ الوجهِ وَردٍ، ... يَفِزُّ الأسدَ خَوفًا بالوَعيدِ[4]

---

(١) الفرزدق، ديوانه، ١/ ١٨٧-١٨٨؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٧-٢٤٨.
(٢) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٣٣.
(٣) ديوانه، ٢/ ٧٠-٧١؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤-١٣٤.
(٤) ديوانه، ١/ ١٤٦؛ أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٩.

يبدو أن فرار الشعراء من الولاة الأشداء إلى أحد الولاة من بنى أمية أو من وجهاء قريش يسهم فى حماية الشاعر من البطش، ويعزز موقف الأسرة الأموية بين قبائل العرب، وهى سياسة استمرت طيلة العصر الأموى فكأنها وسيلة من وسائل مجابهة الخصم وكسب ولاء الشاعر لتثبيت أركان الدولة ودحر خصومها، فأصبح الشعراء ينعتونهم بأفضل النعوت منها الحسب التليد وعمومة النبى صلى الله عليه وسلم، مما يمنح دولتهم نوعًا من الشرعية فى نظر قاطنى الأمصار البعيدة عن مكة والمدينة.

ووفد الأحنف بن قيس[1] ومعه جماعة، منهم الحُتات بن يزيد[2] على معاوية بن أبى سفيان فأعطى كلَّ رجلٍ منهم مئةَ ألفٍ وأعطى للحتات سبعينَ ألفًا فى سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م)[3] فقال الفرزدق:

أتأكلُ مِيراثَ الحُتاتِ ظَلامَةً ... ومِيراثُ حربٍ جامدٌ لكَ ذائِبُهْ

أبوكَ وعَمٌّى يا معاوِى أورثَا ... تُراثًا، فيحتازُ التُراثُ أقارِبُهْ

فلو كانَ هذا الدِّينُ فى جاهليةٍ، ... عَرفت من المَولى القَليلُ حلايبُهْ

ولو كانَ هذا الأمرُ فى غيرِ مُلكِكم ... لأبديتُهُ، أو غصَّ بالماءِ شارِبُهْ

وكم مِن أبٍ لى يا معاوى لم يكُن ... أبوكَ الذى من عبدِ شَمسٍ يُقارِبُهْ[4]

فغضب عليه زياد، فلما استعدت عليه نهشل وفقيم ازداد غضبًا، فشخص الفرزدق إلى الشام وقال:

حبانى بها البَهزِى، نفسى فداؤُهُ ... ومَن يَكُ مَولاهُ، فليسَ بواحدِ

---

(١) أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية، زعيم بني تميم (ت، نحو ٧٧هـ/ ٦٩٦م).
ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٩٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ١/ ٦٨.

(٢) أبو منازل، أحد بني حُويّ بن سفيان بن مجاشع. ينظر: أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦٠٧؛ ابن دريد: الاشتقاق: ١/ ٢٤١.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٤) ديوانه، ١/ ٤٥؛ أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦٠٧-٦٠٨؛الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٣.

فَنِعمَ الفتى عيسى، إذا البُزلُ حاردت ... وجاءت بُصَّرادٍ مع الليلِ باردِ
نمتْه النّواصى من سُليم إلى العُلى ... وأعراقُ صدقٍ نصرِ وخالدِ[1]

ثم طلبه زياد، فلم يقدر عليه، فقال الفرزدق:

أنبئت أن العبد ابن زهدم ... يطوف وللغينى له كُلُّ تتبالِ
فإن بغائى إن أردتُ بُغايَتى ... عِرَاض الصَّحارى لا اختباءٌ بأدغالِ
أتيتَ ابنة المُرّار تهتكَ سترها، ... ولا يُبتَغَى تحتَ الحوياتِ أمثالِى
فإنك لو لاقيتنى، يا ابن زهدم، ... رَجعتَ شُعاعيًّا على شرِّ تمثالِ[2]

وهو يشير إلى طلب زيادٍ له، واضطراره إلى الاختفاء فى بيت نصرانية، ثم انسلاله من بيتها، فلم يقدم عليه، ثم نزل فى بكر بن وائل، فأمن[3]، فقال يمدحهم:

تَبغَّت جِوارًا فى مَعدٍّ فلم تَجدْ ... لحُرمَتِها كالحىِّ بكر بن وائلِ
أبرُّ وأوفى ذمةً يعقدونُها، ... وخيرًا إذا ساوى الذّرا بالكواهلِ[4]

استخدم الفرزدق الشعر مادة يوثق بها الأحداث التاريخية التى جابهته فى صراعه مع زياد، وهى أحداث ذات صلة مباشرة بشخصه وبأسلوب معاوية فى مواجهة خصومه، بإكثار البذل والعطاء لهم، أما مؤيدوه فإنهم يحظون بأقل من ذلك، وقد وثق شعر الفرزدق هذه الخصلة فى سياسة معاوية مثلما وثق أسماء بعض الشخصيات مثل عيسى البهزى على بن زهدم، أحد بنى حوالة بن فقيم، وبنت مرار من بنى قيس بن ثعلبة النصرانية[5]، فكان شاعرًا فى يديه "نبعة الشعر قابضًا عليها"[6] يتعامل مع الموقف تعاملاً حيًا ينبع من قراءة واعية للواقع والتراث فى آن

(١) ديوانه، ١/ ١٦٧؛ أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١٠ مع اختلاف الرواية؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٤ مع اختلاف الرواية.
(٢) ديوانه، ٢/ ٧٨؛ أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٥.
(٣) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٥.
(٤) ديوانه، ٢/ ٩٥؛ الطبري: تاريخ، ٢/ ٢٤٥.
(٥) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٦١٠-٦١١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٤٤-٢٤٥.
(٦) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ١٠٤٨.

واحد لتوسعه فى علم اللغة وبراعته فى الإعراب، ومعرفته بأيام العرب وأنسابهم، ووقوفه على مذاهب العرب فى تأسيس الشعر[1] بوصف الشعر جزءًا متممًا لفنون المعرفة الإنسانية، ووسيلة محكمة لتوثيق الأخبار وحفظها من الضياع ولسرعة انتشارها.

وفى سنة (٥١هـ/ ٦٧١م)[2] ولى زياد بن أبى سفيان الكوفة والبصرة، فأقبل حتى دخل القصر بالكوفة، وخطب الناس، ثم رجع إلى البصرة، فبلغه أن حجر بن عدى[3] (ت، ٥١هـ/ ٦٧١م) يجتمع إليه أصحابه فيظهر لعنَ معاوية، فكتب إلى معاوية، بكتب معاوية أن شده فى الحديد، ثم أحمله إلى، فلما أن جاء كتاب معاوية أراد قوم أن يمنعوه، فقال: لا، ولكن سمعٌ وطاعةٌ، فشد فى الحديد وحدثت بعضِ الاضطرابات لمكانتِه فى الكوفة فانحاز أصحابُ حُجر إلى أبوابِ كندة[4]، حتى خرج قيس بن فهدان الكِندى وهو يقول:

يـا قَـومَ حُجـرِ دافِعُـوا وصـاوِلوا ... وعَـن أخـيكم سـاعةً فقاتِلـوا
لا يلقـين مـنكم لحُجـرِ خـاذِلُ ... أَلـيسَ فـيكم سـاعةً فقاتلـوا
وفـارسٌ مـستلئِمٌ وراجِـلُ ... وضـارِبُ بالـسيفِ لا يُـواكِلُ[5]

وكان زياد أمر بحبسه وطلب أصحابه ليواجههم إلى معاوية[6] فشهد عليه الهيثم[7] بن الأسود النخعى، ثم قال يعتذر:

---

(١) ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت، ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م): عيار الشعر، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام (المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٦م٩، ٤.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٥٥-٢٥٧.

(٣) هو حُجر بن عَدي بن جبلة بن معاوية الكندي قلته معاوية سنة (٥١هـ/ ٦٧١م).
ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٢١٧؛ ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩م): المعارف، تحقيق ثروة عكاشة (مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٠م)، ٣٣٤.

(٤) ينظر التفاصيل عند الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٥٥-٢٥٦.

(٥) البلاذري: انساب، ٤-١/ ٢٤٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٦٠ مع اختلاف الرواية.

(٦) ينظر التفاصيل واختلاف الروايات: الدنيوري: الأخبار، ٢٢٣؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٣.

(٧) هو الهيثم بن الأسود بن قيس بن معاوية بن سفيان النخعي. ترجمته، ابن حبان: الثقات، ٥/ ٥٠٧؛ ابن حجر: الإصابة،٣/ ٦١٢.

ألا من عَذيرى من عُميرو من عمروٍ ... يلومانني إن مالَ دهرٌ على حُجرِ

وهل لى ذنبٌ أن زيادٌ أراده ... وأصحابَه يومًا بقاصمةِ الظَهرِ

وقد حدَّث الأقوامُ ميتًا بأنني ... دلِفت لهُ عَمًا بداهيَّةٍ هِترِ

فهلا إذًا إن كنتُ حُرًّا منعتَه ... وطاعنتُ عنهُ بالمثقفةِ السُّمرِ[1]

وقالت هند بنت زيد بن مخرمة حين سُيِّر حُجرٌ إلى معاوية:

تَرفَّع أيُّها القَمرُ المنيرُ ... تَبصَّرْ هل ترى حُجرًا يسَيرُ

يَسيرُ إلى معاويةَ بن حَربٍ ... ليقتلهُ كما زَعَمَ الأميرُ

تجبَّرت الجبابرُ بعدَ حُجرٍ ... وطابَ لها الخورنقُ والسَّديرُ

وأصبحت البلاد لَهُ مُحُولا ... كأن لَم يُحيُها يومًا مَطيرُ

ألا يا حُجَرُ حُجرُ بنى عدىٍّ ... تلقّتكَ السَّلامَةُ والسُّرورُ

أخافُ عليك ما أردى عَديًّا ... وشَيخًا فى دمشقَ لَهُ زئيرُ

يرى القتلَ الخيارَ عليه حَقًّا ... لَهُ مِن شَرِّ أمتِهِ وزيرُ

ألا يا ليتَ حُجرًا ماتَ مَوتًا ... ولم يُنحر كما نُحِر البعيرُ!

فإن تَهلك فكلُّ زعيمِ قومٍ ... من الدُّنيا إلى هُلكٍ يصيرُ[2]

وجد هذا الحدث التاريخى متنفسًا له فى الشعر وفى نفوس أهل الكوفة، فلبى ما كان يمور فيها من معانى السخط والحنق والتمرد، فاتسعت طاقات الشعر الفنية للتعبير عن كل ما يدور فى نفس الشاعر من معانٍ مختلفة، وما يجيش فى أعماقه من

(١) البلاذري: أنساب، ٤-١/ ٦٩.

(٢) الأبيات: ابن سعد، الطبقات، ٦/ ٢٢٠. ينظر مع اختلاف الروايات: الدينوري: الأخبار، ٢٢٣؛ البلاذري: أنساب، ٤-١/ ٦٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٨٠ وهي الرواية المعتمدة؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٣-٤.

مشاعر[1] وأحاسيس، فلما قتل حُجر بن عدى فى سنة (٥١هـ/ ٦٧١م)[2] قال على بن الغدير[3]:

لـو كـان حجـرٌ مـن بجـيلةَ لم يَـنَلْ ... هـناكَ ولَـم يُقـرَع بأبـيضَ صـارِمِ
يـزيدهُم أنجـى أسـاراه بعـدما ... جَرى قـتلهم ذبحًا كـذبحِ البَهائِم[4]

وجمع مالك بن هبيرة السُّكوني[5] جموعًا وغضب لقتلِ حجر، فبعث إليه معاوية ﷺ بمائة ألف وداراه حتى رضى[6] فقال على بن الغدير:

تداركـتم أمـرَ الهـبيرى بعـدما ... سَـما للنّـيا والتـى كـنتَ تحـذَرُ
فأضـحى الهُمـام عاقِـدًا ثـم رايـةً ... بحمـصٍ تُناجـيه الـسُّكونُ وحمـيرُ
يدارسـهُم آى الكـتابِ وقلـبُهُ ... شَـجٍ بمـصابِ أهـلِ عـذراءَ مُـشْعَرُ[7]

يبدو أن مقتل حُجر بن عدى وبعض أصحابه لا يخلو من نعرة قبلية قائمة على التقليل من قيمة القبائل اليمانية، على الرغم من أن زيادًا كان حذرًا فى تعامله حتى لا يقع الشَّغب بين المضرية واليمانية[8]، وقد كان شعر هذا الحدث مرآة واضحة تعكس تفاصيل الصراع وتعمل على ثراءِ الحدثِ السياسى والتأثير فى تصويره.

(١) خليف، يوسف: حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ٣٥٩ و٣٦٣.

(٢) ابن خياط: تاريخ، ١/ ١٩٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٧٧.

(٣) هو علي بن منصور بن قيس الغنوي: ترجمته: الآمدي: المؤتلف، ٢٤٧؛ المرزباني: معجم الشعراء، ١٣١.

(٤) البلاذري: أنساب، ٤-١/ ٢٦٠.

(٥) مالك بن هبيرة ابن خالد بن مسلم الكندي أو السكوني له صحبة مات زمن مروان بن الحكم (ت، نحو ٦٥هـ/ ٦٨٤م).

ترجمته: ابن حجر: الإصابة، ٣/ ٣٥٧؛ تهيب، ١٠/ ٢٢.

(٦) البلاذري: أنساب، ٤-١/ ٢٦١.

(٧) نفسه، ٤-١/ ٢٦٢.

(٨) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٦٠.

وعندما عزل زيادُ أنسَ بن أبى أناس[1] سنة (٥١هـ/ ٦٧١م) [2] وولى مكانه خليد بن عبد الله الحنطى[3] قال أنس:

ألا مـــن مـــبلغٌ عنـــى زيـــادًا ... مغلغلَـــةً يَخُـــبُّ بهـــا البَـــريدُ
أتعزلنـــى وتطعِمُهـــا خُلـــيدًا ... لقَـــد لاقَـــت حنـــيفَةُ مـــا تـــريدُ
علـــيكم بالـــيمامَةِ فاحـــرثوها ... فـــأوَّلَكم وآخـــرُكم عبـــيدُ[4]

فذاع هذا الشعر سريعًا بين الناس لأن فيه ذكرًا لعيوب الولاة، والراجح أنه كان واحدًا من أسباب عزله بعد أن أمشى فى ولايته شهرًا من الزمان[5].

وعند موت زياد بن أبى سفيان سنة (٥٣هـ/ ٦٧٢م)[6] اختلفت أحاسيس الشعراء فى النظر إليه، وفى تلقى هذا الحدث وتوثيقه، فرثاه مسكين الدارمي[7] (ت، ٨٩هـ/ ٧٠٧م) بألم عميق وحزن شديد إذ قال:

صَـلّى الإلـه علـى قَـبرٍ وسـاكِنِه ... دونَ الـثَّوِيةِ تجـرى فـوقَهُ المُـورُ
أبـــا المُغـــيرة، والدُّنـــيا مغـــيرةٌ ... إن امـــرءًا غـــرت الدّنـــيا لمغـــرورُ[8]

ورثاه أيضًا حارثة بن بدر فقال:

---

(١) هو أنس بن زنيم أو أبي إناس أو إياس. ترجمته: الجاحظ: الحيوان، ٣/ ١١٦؛ ابن حجر: الإصابة، ١ / ١٣٢.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٨٦.

(٣) أبو سليمان العصري. ترجمته: ابن حجر: تهذيب، ٣/ ١٣٧.

(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٨٦.

(٥) نفسه.

(٦) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٠٦؛ الطبري: ٥/ ٢٨٩-٢٩٠.

(٧) هو ربيعة بن عامر بن أنيف. وقيل: عامر بن شريح شاعر أموي مجيد، لقب مسكينًا لبيت قاله، (ت، ٨٩هـ/ ٧٠٧م).

ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٥؛ الأصفهاني: الأغاني: ٢٠/ ١٦٧.

(٨) مسكين الدّارمي، ربيعة بن عامل بن أنيف (ت، ٨٩هـ/ ٧٠٧م): ديوانه، تحقيق خليل العطية وعبدالله الجبوري (مطبعة البصري، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م)، ٣٩.

لهفى عليك للهفَةٍ من خائفٍ ... يبغى جِوارَك حين ليس مُجيرُ
أما القبورُ فإنهنَّ أوانسٌ ... بجوارِ قبرِكَ والدِّيارُ قبورُ
عَمَّت فواضِلُهُ فعمَّ مُصابُه ... فالناسُ فيه كُلُّهم مأجُورُ
رَدَّت صنائعُهُ إليه حياته ... فكأنَّه من نَشرِها منشورُ[1]

ومع ذلك ظهر فى الطرف الآخر فرح واستبشار عند بعض الشعراء على موت زياد منهم الفرزدق الذى قال يجيب مسكينًا:

أمسكينُ أبكى الله عينيكَ، إنّما ... جرى فى ضِلالٍ دمعُها إذ تَحدَّرا
أَتبكى أمرءًا من أهلِ ميسانَ كافرًا ... ككِسرَى على عُدّانِهِ أو كقَيصرا
أقولُ لهُ لما أتانى نَعيُّهُ ... بهِ لا بظبى بالصَّرِيمةِ أعفَرا[2]

ثم أجابه مسكين بقصيدة يائية يفتخر عليه بعمه وخاله، لكن الفرزدق لم يكن معنيًا بمسكين ذاته، بقدر ما كان مستاءً من هروبه من زياد، فقال الفرزدق:

وَقفْتُ بأعلى ذى قَسَاءٍ مطيتى، ... أُمايلُ فى مَروانَ وابنِ زيادِ
فقلتُ عبيدالله خيرهُما أبًا، ... وأدناهُما عُرفًا لكُلِّ جَوَادِ
فتى السِّن كهلُ الحلمِ قد عَرفت لَهُ ... قبائلُ ما بينَ الدُّنا وإيادِ[3]

كما قال أيضًا:

أبلغ زيادًا إذا لاقيتَ جيفتَهُ ... إنَّ الحمامةَ قَد طارت من الحَرمِ
طارَت فما زالَ يَنميها قَوادِمُها ... حتى استغاثت إلى الصَّحراءِ والأَجمِ[4]

وبقيت المراثى ذات أثر كبير فى النفوس، ففى ولاية عبيد الله بن زياد[5] (ت، ٦٧

(١) شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٣٤٧.
(٢) ديوانه، ١/ ٢٠١.
(٣) نفسه، ١/ ١٥٦.
(٤) نفسه، ٢/ ٢٢٣.
(٥) ترجمته: ابن الكلبي: جمهرة، ٥١؛ ابن قتيبة: المعارف، ٣٤٧.

هـ/ ٦٨٦م) جاء إليه الجعد بن قيس[١] فى سنة (٥٤هـ/ ٦٧٣م)[٢] فأنشده مرثية عن والده زياد فأبكاه بكاء شديدًا "حتى سقطت عمامته"[٣]، فدللت المراثى على قدرتها فى الإبقاء على ذكر الميت حيًا فى وجدان الأحياء، فضلًا عن قوة تأثير الرجز فى النفوس وبخاصة أثناء المسير لأن إيقاعَه يتناغم مع موكب السائرين، كما فى قول الجعد بن قيس:

ابـقِ علـى عـاذلى مـن اللّـومْ ... فـيما أزيلَـت نِعمَتـى قـبلَ الـيَومْ
قَـد ذهـبَ الكـريمُ والظِّـلُّ الـدَّومْ ... والـنِّعَمُ المُـوئلُ الدَّثـرُ الحَـومْ
والماشِـياتُ مَـشيةً بعـدَ الـنَّومْ ... لَـيتَ الجـيادَ كُلَّهـا مَـعَ القَـومْ
سُـقِينَ سُـمَّ سـاعَةٍ قـبلَ الـيَوم ... لأَربَـعِ مَـضين مـن شـهرِ الـصَّومْ[٤]

فكان هذا الشعر له أثره فى الانتشار والرسوخ فى ذاكرة الزمن، وفى استمرار شيوع الحدث لما يمتلكه الشعر من جمالية مؤثرة فى النفوس وفى إضفاء الحيوية والتذوق فى ترتيب الأجواء المحيطة بالحدث.

وفى سنة (٥٦هـ/ ٦٧٥م)[٥] دعا معاوية لأخذِ البيعةِ إلى ابنهِ يزيد من بعده "فأمر يزيد مسكينًا أن يقول أبياتًا، وينشدها معاوية فى مجلسه إذا كان حافلًا، وحضره وجوه بنى أمية، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه وهو جالس، وابنه يزيد عن يمينه، وبنو أمية حواليه، وأشراف الناس فى مجلسه، فمثل بين يديه"[٦]، وفى ذلك يقول مسكين.

إنْ أُدعَ مـسكينًا فإنّـى ابـنُ مَعـشرٍ ... مـن الـناسِ أحمـى عـنهُم وأذودُ

---

(١) هو صاحب طاق الجعد بالبصرة، كان على شُرط عبيد الله بن زياد.
ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ٢/ ٣٣٥.
(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٩٥.
(٣) نفسه، ٥/ ٢٩٧.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه، ٢/ ٣٠١.
(٦) الأصفهاني: الأغاني، ٢٠/ ١٧٥.

إلـــيكَ أمـــيرُ المؤمـــنينَ رحلـــتها ... تـــثيرُ القطـــا لـــيلًا وهـــن هجـــودُ
لـــدى كـــلِّ قَـــرموصٍ كـــأن فـــراخَه ... كلـــى عَنْبَـــرٍ إن كانـــت لهـــن جلـــودُ
وهاجَـــرةٍ طلـــت كـــأنَّ ظِـــباءَها ... إذا مـــا اتقـــتها بالقـــرونِ سُـــجودُ
تلـوذُ لشؤوبوبٍ منَ الشمسِ فوقَها ... ومـــروان، أمّ مـــاذا ســـعيدُ
بنـــى خلفـــاء اللهِ مَهلَـــا فإنمـــا ... يَـــبوءَها الـــرّحمن حـــيثُ يُـــريدُ
إذا المنـــبرُ الغربـــى خَـــلاه ربَّـــه ... فـــإنَّ أمـــيرَ المؤمـــنينَ يَـــزيدُ
علـى الطائـرِ الميمونِ والجـدِّ صاعدٍ ... لِكُـــلِّ أنـــاسٍ طائِـــرٌ وجـــدودُ
فـلا زِلـتَ أعلـى الناسِ كَعبًا ولا تَزَلْ ... وفـــودٌ تـــساميها إلـــيكَ وفـــودُ
ولا زالَ بـيتُ المُلـكِ فـوقَك عاليًا ... تَـــشيدُ أطـــنابٌ لَـــهُ وعَمـــودُ[1]

لقد جعل مسكين نيل يزيد للخلافة قدرًا من الرحمن ليرد على ما أشيع فى المدينة من أن سعيد ابن عثمان بن عفان[2] هو المرشح للخلافة، وكان أهل المدينة فى حينها يقولون:

والله لا يـــــنالَها يـــــزيدُ ... حتـــى يـــنالَ رأسَـــهُ الحديـــدُ
إن الأمـــير بعـــدَه ســـعيدُ[3]

ويقال: قام رجل من ذى الكلاع، فأشار إلى معاوية فقال: "هذا أمير المؤمنين، فإذا مات فهذا وأشار إلى يزيد، فمن أبى هذا – وأشار إلى السيف – ثم قال:

معاويـــةُ، الخَلـــيفة لا تُمـــارَى ... فـــإن تهلِـــك فسائِـــسُنا يَـــزيدُ

---

(١) ديوانه، ٣١-٣٣؛ ينظر: الأصفهاني، ٢٠/ ١٧٦.

(٢) سعيد بن عثمان بن عفان ولي خراسان لمعاوية (ت، ٥٨هـ/ ٦٧٧م).
ترجمته: ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي (ت، ٢٤٥هـ/ ٥٨٩م): المحبّر، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر (المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ)، ٢٦٢؛ ابن قتيبة: المعارف، ٢٠٢.

(٣) ابن حبيب: أسماء المغتالين، ٢/ ١٦٦-١٦٧؛ البلاذري: أنساب، ٥/ ١١٨.

فَمَـن غَلَـبَ الـشقاء علـيه جَهـلا تحكّـم فـى مفارقِـه الحَديـدُ[1]

فكان معاوية أول من بايع لابنه يزيد بولاية العهد[2] فى الإسلام وهو لما حيًا، فعدت سابقة وخروجًا على نظام الشورى، وإنه نظام مستوحى من نظام الحكم الساسانى الكسروى كما أشار إلى ذلك عبدالله بن هَمام السَّلولى بقوله:

لَقـد ضَـاقت رعيـتكُمُ علـيكمُ تـدرُّونَ الأرانِـبَ غافليـنا
إذا مـا مـاتَ كـسرى قـامَ كـسرى نعُـدُّ ثلاثـةً متتابعيـنا
وكُـلُّ الـناسِ نحـنُ مـبايعوهُ وإن شـئتم فعمّكـم الـسَّمِينا
وإن جئـتم بـرملةَ أو بهـندٍ نـبايعُها أمـيرة مؤمنيـنا
نثّـبتُ ملككُـم وإذا أردتُـم بـنا الـصَّلعاء تُلـنا مُخبتيـنا
فـيا لَهفـى لـو أن لـنا أنُـوفًا ولكـن لَـن نَعـود كمـا غنيـنا
إذًا لـضربتُم حتـى تعـودُوا بمكـةَ تلحـسونَ بهـا الـسَّخينا
خـشينا الغـيظَ حتـى لـو شـربنا دمـاءَ بنـى أميَّةَ مـا رويـنا
ضـعوا كلـبًا علـى الأعـناق مـنا وسـرحكم أصـاغر ورثـونا[3]

فلما سمع معاوية ذلك قال: "ما ترك ابن هَمام شيئًا، عيرنا بالسَّخينة، وذكَّرنا أمهاتنا وتهددنا وذكر أنه لو شرب دماءَنا ما اشتفى، اللهم اكفناه"[4]. فكان شعره خيرَ وسيلة للاحتجاج ضد نظام الوراثة الذى كان شائعًا فى النظام القبلى فى عصر ما قبل الإسلام، ونتيجة لظهور النظام الوراثى فى الحكم أيام الأمويين حمل الشعر ما يمكن أن يقال بأن ثمة اتجاهاتٍ معارضة له فى المجتمع كقول عُقيبة الأسدى[5]:

---

(١) المسعودي: مروج، ٣/ ٢٨ مع شيء من الاختلاف؛ القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م): الأمالي، مراجعة محمد جواد الأصمعي، الجزء الأول (دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ) ١٦١.

(٢) المسعودي: مروج، ٣/ ٢٨.

(٣) ما تبقى من شعره، ٢١٨-٢١٩.

(٤) البلاذري: أنساب، ٤-١/ ٦٤.

(٥) هو عقيبة أو عقبة بن الحارث الأَسدي. ترجمته: البكري: سمط، ١/ ١٤٩؛ السيوطي: شرح، ٢/ ٨٧٠.

معـــاوى إنـــنا بـــشرٌ فاســـجح ... فلـــسنا بالجـــبالِ ولا الحديـــدِ
أكلـــتُم أرضـــنا فجـــردتموها ... فهـــل مـــن قـــائمٍ أو مـــن حـــصيدِ
أتطمَـــعُ فـــى الخلـــودِ إذْ هلكـــنا ... ولـــيس لـــنا ولا لـــكَ مـــن خلـــودِ
فَهـــبَها أمَّـــةً هَلكـــت ضـــياعًا ... يـــزيدُ يـــسوسها وأبـــو يـــزيدِ
دعـــوا حـــقَّ الإمـــارةِ واســـتقيموا ... وتأمِـــــل الأراذلَ والعبـــــيدِ
وأعطـــونا الـــسَّوِيَّةَ لا تَـــزركُم ... جـــنود مـــردفاتٍ بالجـــنودِ[1]

وحين بلغ معاوية أرسل إليه بعشرة آلاف درهم ليكف لسانه، فأنشأ يقول:

إذا المنـــبر الغربـــى حـــلَّ مكانـــه ... فـــإنَّ أمـــيرَ المؤمـــنين يـــزيد[2]

فكان للشعر أثره فى تدوين هذا الحدث وتقليل أصوات المعترضين ضده، بعد أن جعل معاوية المال وسيلة فى كسب مؤيديه والرد على خصومه، فاتخذ الشعر أحد أسلحته المؤثرة فى هذا الاتجاه مما يدلل على دهائه فى مواجهة خصومه.

وعندما ولى سعيد بن عثمان (ت، ٥٨هـ/ ٦٧٧م) خراسان فى سنة (٥٦هـ/ ٦٧٥م) تواصلت الأخبار إليه بأنه كان هنالك قومًا ببطن فلج[3] "يقطعون على الحاج ويخيفون السبيل"[4] فأخرج معه قومًا، منهم مالك بن الريب[5]، فلما عبروا النهر خرج إليهم أهل السغد[6]، فقال مالك بن الريب يذم سعيدًا:

مـا زلـت يـوم الـصُّغد ترعد واقفًـا، ... مـن الجـبنِ حتـى خِفـتُ أن تتنـصَرا

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٤/ ٢٢٥-٢٢٦؛ السيوطي: شرح، ٢/ ٢٧٠.

(٢) ابن أعثم: الفتوح، ٤/ ٢٢٦. والبيت في ديوان مسكين مع شيء من الاختلاف. ينظره ٣٣.

(٣) فلج: مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقشير وكعب بن ربيعة. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٢٧١ (فلج).

(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٠٥-٣٠٦.

(٥) مالك بن الريب المازني، شاعر إسلامي نشأ في بادية البصرة (ت، ٦٠هـ/ ٦٨٠م).
ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٢٧٠؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢٢/ ٣٠٤.

(٦) كورة قصبتها سمرقند، وهي من جنان الدنيا الأربع. ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٤٠٩ (الصُغد).

وما كانَ فى عثمان شيء علمتُهُ ... سوى بسله فى رهطهِ حين أدبرا
ولو كان بنو حربٍ لطلت دماؤكم ... بُطونَ العظايا من كُسيرٍ وأعورا[1]

وعندما قتل سعيد بن عثمان قال أبو قطيفة[2] يرثيه:

يا عينُ جودى بدمعٍ منك تهتانا ... وأبكى سعيد بن عثمان بن عفانا
إن ابن زينة لم تَصدق مودتَهُ ... وَفَرَّ عنه ابن أرطاة بن سيحانا[3]

وابن سيحان[4] هو الذى قال يعتذر:

يقولُ خَليلى قد دعاكَ فلم تَجب ... وذلك من تلقاءِ مِثلِك رائِعُ
فإن كان نادى دعوةً فسمعتها ... فشلّت يدى واستكَ منى المسامِعُ
يلومونني إن كنتُ فى الدار حاسِرًا ... وقد فرَّ عنه خالِدٌ وهو دارِعُ[5]

فقال بعضهم يجيبه:

فإنّك لم تسمع ولكن رأيته ... بعينكَ إذ مجراكَ فى الدار واسعُ
فأسلمته للسُّغد تدمى كلومُهُ ... وفارقته والصوت فى الدار شائِعُ
وما كان فيها خالدُ اللؤمِ مُعذرًا ... سواءً عليه صمٌّ أو هو سامعُ

---

(١) مالك بن الريب (ت، ٦٠هـ/ ٦٨٠م): شعره، شعراء أمويون، ١/ ٢٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٠٦.
(٢) هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، شاعر محسن (ت، ٧٠هـ/ ٦٩٠م).
ترجمته: ابن بكار: نسب قريش، ١٤٦؛ ابن الجراح، محمد بن داود (ت، ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م). من اسمه عمرو من الشعراء في الجاهلية والإسلام، تحقيق محسن غياض عجيب ومصطفى عبداللطيف جياووك (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م)، ١٠٥.
(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١/ ٤٦. قيل إن الأبيات لخالد بن عقبة بن أبي معيط. ينظر: البلاذري: أنساب، ٥/ ١١٨.
(٤) هو عبدالرحمن بن أرطأة، وقيل: عبدالرحمن بن سيحان بن ارطأة بن سيحان من بني جسر بن محارب.
ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٢/ ٢١٨.
(٥) البلاذري: أنساب، ٥/ ١١٨-١١٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ٢/ ٢١٨ برواية أخرى.

فـلا زلـتُما فـى حـالِ سَـوءٍ ذمـيمَةٍ ودارت علـيكم بالـبلاء القـوارعُ[1]

وقال بعض ولد أبى مُعيط يرثيه:

يـــا نفـــسُ موتـــى حَـــسرَةً وابكـــى هَـــبلت علـــى ســـعيدِ
وابكـــــى لقـــــرمٍ ماجِـــــدٍ بـــــين الخلـــــيفةِ والولـــــيدِ
ولقـــــد أصُـــــبت بغـــــدرةٍ وحملـــت حـــتفَكَ مـــن بعـــيدِ[2]

وكان مقتل سعيد المريب حافزًا لإثارة النفوس واستدرار العواطف، وهو الذى كان مثار اهتمام أهل المدينة "فبينما سعيد فى حائط له وقد جعل أولئك السغد فيه يعلمون بالمسامى إذ أغلقوا باب الحائط ووثبوا عليه فقتلوه فجاء مروان بن الحكم يطلب المدخل عليهم فلم يجده وقتل السغد أنفسهم وتسورت الرجال ففتحوا الباب وأخرجوا سعيدًا"[3] فوصفته ابنته مردانة بالشهيد ابن الشهيد، وكأنها تستعيد مقتل أبيها وتتساءل عن هذا الحتف المثير:

يـــا عـــينُ أذرى دمعـــةً وابكـــى الـــشَّهيد ابـــن الـــشهيدْ
فلقـــــد قَـــــتِلتَ بِغـــــرَّةٍ وَجلـــبتَ حـــتفك مِـــنْ بَعـــيد[4]

فقد كانت توليته على خراسان مثار إحساس بالخوف واعتقاد بقرب النهاية، وشهور بالغرابة، كما أظهر ذلك مالك بن الريب فى صحبته له ورثائه لنفسه:

ألا لـيتَ شـعرى هَـل أبـيتَنَ لـيلةً بجَنبِ الغَضا أُزجى القِلاصَ النَواصِيا
فليتَ الغضا لَم يقطع الرَّكبُ عرضَه وليتَ الغَضا ماشى الرِّكابَ لَيالِيا
لَقد كان فى أهلِ الغَضا لو دنا الغَضا مَـزار لـوكن الغَـضا لـيس دَانِـيا
ألم تَرنـى بِعـتُ الـضَّلالَةَ بالهـدى واصبحتُ فى جيشِ ابن عَفّانَ غازِيا

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ٢/ ٢١٨-٢١٩.
(٢) البلاذري: أنساب، ٥/ ١١٩.
(٣) نفسه.
(٤) ابن بحيب: أسماء المغتالين، ٢/ ١٦٨.

وأصبحتُ فى أرضِ الأعادى بَعدما أرانى عن أرضِ الأعادى قاصِيا[1]

فكأنَّ الشاعر رأى نهايتها القريبة، فقضى كل منهما نحبه الواحد بعد الآخر بطريقة مثيرة وحزينة كانت مثار تساؤلات وهواجس مستمرة.

وفى سنة (٥٨هـ/ ٦٧٧م)[2] اشتدت ملاحقة عبيد الله بن زياد للخوارج، فقتل منهم صبرًا جماعة كثيرة، وفى الحرب جماعة أخرى، فاضطر أحدهم إلى ترك مجالسة أخوته فقال:

ما زالَ بى صَرفُ الزمانِ وريبهُ حتى رفضتُ مَجالسَ الفتيانِ
وألِفْتُ أقوامًا لغَيرِ مَوَدَّةٍ وهَجرتُ غيرَ مُفارقِ إخوانِي
وأفضتُ فى لهوِ الحَديثِ وهُجرِهِ بعد اعتيادِ تلاوةِ القرآنِ[3]

ثم خرج أبو بلال مرداس بن أدية[4] فى أربعين رجلًا إلى الأحواز، فبعث إليهم ابن زياد جيشًا فهزمهم الخوارج[5]، فقال رجل من بنى تيم الله بن ثعلبة:

أألفًا مؤمنٍ منكم زَعمتم ويقتلهُم بآسك[6] أربعونَا
كذبتُم ليس ذاك كما زَعمتم ولكن الخوارجَ مؤمنونا
هى الفئةُ القليلة قد علمتُم على الفئةِ الكثيرةِ يُنصرُونا[7]

وصف الخوارج بالمؤمنين، وبالفئة القليلة التى انتصرت على الفئة الكثيرة، فكانوا يصفون أنفسهم بأهل الحق الذى ضيق عليهم الولاة المنافذ وطاردوهم حتى سئموا من هذه المطاردة فقال أبو بلال:

---

(١) شعره: شعراء أمويون، ١/ ٤١-٤٢.
(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٢.
(٣) شعر الخوارج، ٤٨؛ البلاذري: أنساب، ١-٤/ ١٥٥.
(٤) هومراوس بن حدير بن عبيد بن كعب، وأُديّة أُمه، وهو من بني ربيعة بن حنظلة. ترجمته: الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٤؛ ابن أبي الحديد: شرح، ٤/ ١٣٦.
(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٥.
(٦) اسم موضعق رب أربحان. ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٥٣ (آسك).
(٧) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٤.

إلهـى هَـب لى زلفَـةً ووسـيلةً ... إلـيكَ قـد سـئمتُ مـن الدَّهـرِ
وقـد أظهـرَ الجـورَ الـولاةُ وأجمعـوا ... علـى ظُلـمِ الحـقِّ والغـدرِ والكُفـرِ
وفـيكَ إلهـى إن أردتُ مغيِّـرٌ ... لكـلِّ الـذى أتـى إلينـا بـنو صـخرِ
فقـد ضَـيّقوا الدّنـيا علينـا بـرحَبِها ... وقـد تـركونا لا نقـرُّ مـن الذُّعـرِ
فـيا رب لا تـسلم ولا تَـكُ للـرَّدى ... وَأَيـدِّهم يـا ربِّ بالنـصرِ والـصبرِ[1]

يشير هذا الشعر إلى ثبات وقوة وإصرار الخوارج فى التصدى لخصومهم أثناء اللقاء، ويكشف عن تجردهم عن مغريات الحياة، وادعائهم بأنهم يقاتلون لتطبيق مبدأ العدل والشورى فى الحكم، فكان الشعر صورة صادقة لحياتهم.

وعندما عزل عبد الرحمن بن أم الحكم[2] عن الكوفة فى سنة (٥٩هـ/ ٦٧٨م)[3] وولى فيما بعد عبدالرحمن بن زياد[4] خراسان، قال عبد الله بن الزبير الأسدى:

أَبلِـغ عبـيد الله عنـى فإننـى ... رميتُ ابـن عَـوذ إذ بـدت لى مقاتِلُـهُ
وعلـى قَفـرةٍ إذ هابَـهُ الـوفدُ كُلّهـم ... ولَـم أكُ أشـوِي القـرنِ حتـى أناضِلُهُ
وكـان يُمـارى مـن يـزيد بـوقعَةٍ ... فمـا زال حتـى استدرجته حـبائِلُهُ
فتقـصيه مـن ميراثِ حـرب ورهطـهِ ... وآلَ إلى مـا وَرثـته أوائِلـه
وأصـبح لَمّـا أسـلمته حـبالُهم ... كَكَلـبِ القطارِ حُلَّ عنهُ جلاجِلُه[5]

وفى تعولية عبدالرحمن بن زياد قال زياد بن عمرو العتكى[6] أيضًا:

سـألناهُ الجـزيلَ فمـا تَلكّـا ... وأعطـى فـوقَ مُنيتـنا وزَادا

---

(١) شعر الخوارج، ٥١؛ البلاذري: أنساب، ١-٤/ ١٥٧.
(٢) عبدالرحمن بن عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن ربيعة الثقفي.
ترجمته: ابن حبيب: المحبّر، ١٠٥؛ بن حزم: جمهرة، ٢٦٦.
(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٥؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٤/ ٢١١.
(٤) عبدالرحمن بن زياد بن أبي سفيان، ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٣٤٧.
(٥) ديوانه، ١١٨؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٤/ ٢١١.
(٦) كان في قمة الصراع القبلي بعد قتل مسعود بن عمرو. ينظر: ابن دريد: الاشتقاق، ٢/ ٤٨٣.

وأحسنَ ثُمَّ أحسنَ ثُمَّ عُدنا وأحسنَ ثُمَّ عُدت له فَعَادا
مِرارًا لا أعود إليه إلا تَبَسَمَ ضاحِكًا وثَنَى الوِسادا[1]

يعتبر الشعر أصدق تعبير عن الأحداث السياسية والجوانب الإنسانية التى يعيشها الأفراد لارتباطه بالوعى واتصاله المباشر بالواقع.

وكان عبا بن زياد بن أبى سفيان يحارب الترك بجبهة سجستان فشحت أعلان دوابهم فتمنى يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى أن تكون لحية عباد حشيشًا لتكون علفًا لخيول المسلمين فقال:

ألا ليت اللحى عادت حشيشًا فنعلفها خيول المسلمينا[2]

فكان ذلك بداية لنشوب الهجاء بين ابن المفرغ وبنى زياد فى سنة (٥٩هـ/ ٦٧٨م)[3] فقد كان عباد عظيم اللحية، فلما سمع عباد الشعر طلبه فهرب منه، وأوغل فى الهجاء، فكان مما هجاه به قوله:

إن زيادًا ونافعًا وأبا بكرة عندى من أعجبِ العَجبِ
إن رجالًا ثلاثة خُلِقوا من رحِم أنثى مُخالفى النَّسبِ
ذا قرشى، كما يقول، وذا مَولى، وهذا بزعمِهِ عَربى[4]

ومن هجائه أيضًا:

ألا أبلِغ معاويةَ بن حربٍ مُغَلغَلةً من الرَّجلِ اليمانى[5]

وقد رأى ابن مفرغ فى الطعن بنسب آل زياد وسيلة للهجاء والنيل منهم، فكان هذا ينتشر انتشارًا سريعًا، حتى أن ابن مفرغ ادعى أمام معاوية بأنه لم يقل الأبيات

(١) الجهشياري: الوزراء، ٢٩.
(٢) ديوانه، ٢٢٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٧.
(٣) نفسه، ٥/ ٣١٧.
(٤) ديوانه، ٧٩-٨٠.
(٥) ينظر: ديوانه، ٢٣٠-٢٣٢؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٧٨-٧٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٨.

السابقة[1]. مما يعنى أنه ربما حُمل عليه فى هذا الهجاء الشيء الكثير وأن معارضى الأمويين ساهموا فى صعيدِ الصراع بين الجانبين، فكان ابن المفرغ يعرض بنسبِ آل زياد ويقول:

فأُقسِمُ ما زيادٌ من قريشٍ ... ولا كانت سُمَيَّةُ مِنْ تَميم
ولكن نَسل عبدٍ من بغىٍّ ... عريقِ الأصلِ فى النسبِ اللئيم[2]

واتسع الهجاء حتى حملت إليه بعض الأبيات باللغة الفارسية[3]، فهرب ابن مفرغ على البصرة فأجاره المنذر بن الجارود[4] فلما أمسك به عبيد الله بن زياد[5] فهجا المنذر فقال:

تركتُ قريشًا أن أجاوَر فيهم ... وجاورتُ عَبد القيسِ أهلَ المشقَّرِ
أناسٌ جاورونا فكانَ جِوارُهم ... أعاصيرَ مِن فسوِ العِراقِ المُنذِّرِ
فأصبح جارى من جُذيمَةَ نائمًا ... ولا يمنع الجيران غير المشمِّر
فهلا بنى اللفّاءِ كُنتُم بنى استِها ... فعلتُم فَعالَ العامرى بن جَعفرِ
حَمَى جارَه بشر بن عمرو بن مرثدٍ ... بألفٍ كمِّى فى الحَديدُ مكفَّرِ[6]

ولذلك تَحمَّل ابن المفرغ عذابًا قاسيًا رسمه فى هذه الأبيات فقال:

أصابت عذابى اللّون فاللون شاحِبُ ... كما الرأسُ من هولِ المنيّةِ أشيَّبُ
قُرنت بخنزيرٍ وهرٍّ وكَلبةٍ ... زَمانًا وشانَ الجِلدَ ضَربٌ مشذَّبُ
وجرعتها صهباءَ من غيرِ لَذَّةٍ ... تَصعَّد فى الجُثمانِ ثم تَصوَّبُ

---

(١) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٨.
(٢) ديوانه، ٢٠٦. ينظر: بائيته، ٧٩-٨٠.
(٣) ينظر: الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٩.
(٤) هو المنذر بن بشر بن عمرو بن حنش بن المِلّى من بعد القيس. ابن قتيبة: المعارف، ٣٣٨-٣٣٩؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٣/ ٢٠٣.
(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٨-٣١٩.
(٦) ديوانه، ١٣٥-١٣٦؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٩.

وأطعِمتُ مـا إن لا يحـلُّ لأكـلٍ وصلّيتُ شَرقًا، بيتُ مكّة مَغربُ[1]

فأشار إلى أنه قرن مع خنزير وهرّ، وتعرض للضرب وأجبر على شرب المسهل، وأكل مالا يحمل أن يؤكل، واضطراره إلى الصلاة وهو مشدود إلى جهة غير القبلة، كما وصف حالته فى السجن فأشار إلى هيأة قعود حارسيه وإلى قيوده فقال:

حَـيَّ ذا الـزور وانهـه أن يعـودا إنَّ بالـبابِ حارسـين قعـودا
مـن أسـاويرَ لا يـنونِ قـيامًا وخلاخـيلَ تُـسهِرُ المَولـودا
وطماطـيمَ مـن سـبابيحَ غُـتمٍ يلبـسونى مـع الـصَّباحِ القـيودا[2]

فكان شعر ابن المفرغ خلال مدة مكوثهِ فى السِّجن وثيقة مهمةً تشير إلى أوضاع السجناء وطريقة معاملتهم، وأساليب التعذيب الجسدى والنفسى، كما وصف حالته فى السجن وهو مقيد بالأغلال وعلى بابه حارسان فصور ذلك تصويرًا وثائقيًا حيًا يكشف عن طريقة السجن ودرجات المسجونين، فكان كالأسير الذى يتحسر على أيامه الخالية أيام العزِّ واللَّهو والصيدِ حيث يقول:

دار سَـلمى بالخَـبتِ ذى الأطـلالِ كـيفَ نـومُ الـسير فـى الأغـلالِ
أيـن منّـى الـسَّلامُ مـن بعـد نـأيٍ فارجعـى لى تحيتـى وسـؤالى
أيـنَ مِنـى نَجائِبـى وجـيادِى وغَـزالى، سـقى الإلـهُ غَـزالى
أيـنَ لا أيـنَ جنَّتـى وسَـلامى ومَطايـا سَـيَّرتُها لارتحالِـى[3]

وهذا ما ولد فى نفسه شعورًا بالندم على مفارقتِه لسعيد بن عثمان فقال:

إن تركـى نَـدى سـعيد بـن عـثما نَ فتـى الجـودِ ناصـرى وعديـدى
واتِّباعـى أخـا الـصَّراعةِ واللّـؤ م لـنقصٌ وفـوت شَـأوٍ بَعـيدِ

(١) ديوانه، ٥٥-٥٦.
(٢) نفسه، ١٠٠.
(٣) نفسه، ١٨٥.

قلـــت، واللـــيلُ مطـــبقٌ بعـــراهُ ليتنـــى مُـــتُّ قـــبلَ تَـــركِ ســـعيد[1]

ثم عرض ابن المفرغ للمحاكمة أمام الخليفة معاوية بن أبى سفيان ادعى أن بعض ما نسب إليه قاله عبدالرحمن بن أم الحكم، فقال عبدالرحمن حين غضب عليه معاوية[2] وحرمه عطاءه:

لأنـــتَ زيـــادّة فـــى آل حَـــرب أحـــبُّ إلى مـــن إحـــدى بنانـــى
أراك أخًـــا وعمًّـــا وابـــن عَـــمٍّ ولا أدرى بغـــيبِ مـــا ترانـــى[3]

وحين أطلق معاوية سراح ابن المفرغ قال:

عـــدس مـــا لعـــبّاد علـــيكَ إمـــارةٌ نَجـــوتِ وهـــذا تَحملـــينَ طلـــيقُ[4]

تبدو الصلة بين الشعر والسلطة السياسية وثيقة وقوية، لأن الشاعر يستخدم الشعر وسيلة إعلامية مؤثرة فى نفوس الناس فتنتقل قصائده بسرعة من مكان إلى آخر، وحين يحصل الاصطدام بين طرفين أو أكثر بسبب تباين الأهداف والاتجاهات فإن مظاهر هذا الاصطدام ستتحول إلى مادة تاريخية واضحة المعالم، فكان معاوية واعيًا لأثر الشعر فى النفوس حين عفا عن ابن مفرغ واستمالة إلى جانبه حفاظًا على ولاء قبائل اليمن لدولته؛ وبهذا سجل الشاعر فى شعره وثائقه التاريخية التى تحمل بعض اللَّمحات الاجتماعية، كظروف السجناء وأساليب التعذيب وصراع القبائل وحمايتها لشعرائها، وميل الشعراء نحو الطعن بالأنساب واستغلالها هذا الطعن وسيلة للنيل من الخصوم.

وأثناء علةِ معاوية التى مات بها سنة (٦٠هـ/ ٦٧٩م)[5] قال:

لعَمرى، لقَد عُمِّرتُ فى الدَّهر برهةً ودانَـــت لى الدنـــيا بوقـــعِ البواتـــرِ

---

(١) نفسه، ١٠٩-١١٠.
(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٢٠.
(٣) نفسه.
(٤) ديوانه، ١٧٠.
(٥) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢١٥ وفيه سنة ٥٩؛ الطبري تاريخ، ٣٢٦.

وأُعطيتُ حُمرَ المالِ والحُكم والنُّهَى ... ولى سَـلّمت كُـلُّ الملـوكِ الجبابـرِ
فأضـحى الـذى كـانَ مـا يَـسرّني ... كحُكمِ مـضى فـى المزمِناتِ الغوابرِ
فياليتنـى لَـم أعـنِ فـى المُلـك بـبلغَةٍ ... فلـمَ يـكُ حتـى زارَ ضـيقَ المقابـرِ[1]

ثم قال يصف نحوله:

لقد جمعتُ لكم من جَمعِ ذى حَسَب ... وقـد كفيـتكُم الترحـالَ والنَّـصبَا[2]

وناجى ربه قائلًا:

إن تـناقش يكـن نِقاشُـكَ يـار ... بِـ عـذابًا، لا طـوق لى بالعـذابِ
أو تجـاوزْ، فأنـتَ ربٌّ رحـيمٌ ... عـن مُـسيءٍ ذنـوبُه كالتُـرابِ[3]

وتمثل بعض الأبيات فى حضرة إحدى بناته[4] وفى شعر يزيد بن معاوية (ت، ٦٤ هـ/ ٦٨٢م) أبيات قيلت فى احتضار معاوية، منها:

لـو فـاتَ شـيءٌ يـرى لفـاتَ أبـو ... حَـيَّانَ، لا عاجـزٌ ولا وكـلُ
الحُـوَّلُ القُلَّـبُ الأريـبُ وكُـن ... يَدفـعَ زوءَ المنـيةِ الحِـيَلُ[5]

ويقال أن الضحاك[6] بن قيس (ت، ٦٤هـ/ ٦٨٢م) كتب إلى يزيد حين مات معاوية رضى الله عنه رسالة واثبت فى أسفل كتابه هذين البيتين:

مَـضى ابـن سـفيان فَـرُدَّ لـشأنهِ ... وخُلِّفـتَ فانظـر هـذه كـيفَ تـصنعُ

---

(١) ديوانه، ٧٣.
(٢) نفسه، ٥٢؛ وفي الطبري: برواية أخرى. ينظر. تاريخه، ٥/ ٣٢٦.
(٣) ديوانه، ٥٣.
(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٢٧.
(٥) شعره، ٢٥.
(٦) هو الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب، كان على شرطة الكوفة لمعاوية قتل في مرج راهط سنة (٦٤هـ/ ٦٨٢م).
ترجمته: ابن سعد: الطبقات، ٧/ ٤١؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٣/ ١٤٩.

أقمنا على المنهاجِ وراكب محجَة سَدادًا فأنتَ المُرتجى كيفَ تفزعُ[1]

فأتى البريد إلى يزيد بن معاوية فى الصائفة فقال:

جاءَ البريدُ بقرطاسٍ يخبُّ بهِ فأوجسَ القلبُ من فرطاسهِ فَزَعَا
قلنا: لَكَ الويلُ، ماذا فى صحيفتِكم قالوا: الخليفةُ أمسى مُثنيًا وجعا
مادت بنا الأرضُ أو كادت تميدُ بنا كأنَّ ما عزَّ مِنِ أركانِها انقلعَا
مَن لِم تَزل نفسُهُ توفى على شرَفٍ توشِك مقاديرُ تلك النفسِ أن تَقَعَا
لما ورَدتُ وباب القصرِ منطبقٌ لصَوتِ رملةَ هَدَّ القلبُ فانصدَعا[2]

تشير هذه الأبيات إلى أن يزيدًا كان غائبًا فحضر، كما أشارت إلى ذلك كتب التاريخ[3] وبهذا أكد الشعر حقائق التاريخ ونفى أن يكون يزيد حضر احتضار معاوية وساعاته الأخيرة، فكان الشعر مصاحبًا لحياة معاوية وموته وهو الذى كان يتمثل به ويقوله، ويستند على ما يوفره من حكمة ودلالة يكثف الموقف الإنسانى ويثريه ويعمق الفكرة الواقعية السائدة فيمدها باستمرارية الزمن وقدرته على النفاذ إلى مسارب المستقبل، ومع ذلك لم يكن معاوية شاعرًا وفق مقاييس عصره، ولكنه كان ممن يؤثر الحكمة والروية ويميل إلى حسم المواقف الحرجة فى اللَّحظات المناسبة، وقد كان عهده عهد استقرار نسبى استطاع خلاله بناء دولة على أركان قوية هابها أعداء الإسلام فى الخارج، وتوجس منها خصوم الأمويين فى الداخل، وقد كانت ثمرةً يانعةً سلمها معاوية إلى يزيد بعد أن سنَّ سُنةً جديدة فى الاستخلاف وهى النظام الوراثى فى الحكم، والتى ستكون مثار متاعب وقلق ليزيد خلال مدة حكمه وتؤدى بالتالى إلى انتقالها على الفرع المروانى من الأسرة الأموية.

كان معاوية رجل دولة متميز يتسم بالحِنكة والدَّهاءِ وسِعة الأفقِ يستميل

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢١-٢٢.
(٢) شعره، ٢٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٢٨.
(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٢٨.

خصومَه ويغدق عليهم العطايا ويتعامل مع مؤيديه ورعيته مثل أى رئيس قبيلة حصيف قادر على إحداث التوازن بين كفتى الميزان يتأمل من هو حوله ويرنو إلى من هم أبعد منه يستعين بثقافته وصلاته بالآخرين ويستفيد من أفق مكة التجارى التى نشأ فيها فى قراءة المواقف وحسم الأمور الطارئة بذكاء وحذر وقدرة على الحسم تقلب ميزان القِوى لصالحه فجنب دولته هِزات عنيفة كالتى حدثت فى زمن ابنه يزيد.

يزيد بن معاوية بن أبى سفيان[1] **(٦٠-٦٤هـ/٦٧٩-٦٨٣م)**

بعد وفاة معاوية انتقلت الخلافة إلى ابنه يزيد على وفق النظام الوراثى الذى اعتمده معاوية عندما أعلن البيعة ليزيد فى حياته، فكان الأمر مهيئًا بوضوح ليزيد دون عقبات ظاهرة، ولكن الحياة السياسية كانت تخفى وراءها صراعات كثيرة منها مواقف بعض أبناء الصحابة وبعض فقهاء المدينة ممن يرون أنهم أحق بالخلافة من يزيد، فكان ذلك مدعاة لنشوب اضطرابات أوصلت الحكم السفيانى إلى نهايته.

حين ولى يزيد الخلافة ظهر معه اتجاه شعرى يجمع بين التعزيةِ والتهنئةِ، التعزية بوفاة الخليفة السابق والتهنئة بتولى الخليفة الجديد، فقد دخل عطاء بن أبى سيفى على يزيد بعد موت معاوية، فقال: "أصبحت يا أمير المؤمنين فارقت الخليفة وأعطيت الخلافة فأجرك على عظيم الرزية ورزقك الشكر على حسن العطية"[2]، فاحتذى به عبدالله بن همام السلولى فقال:

اصبر يزيدُ فقد فارقت ذا مِقَةٍ ... واشكر عطاءَ الذى بالمُلك حاباكا
لا رُزْءَ أعظم فى الأقوام تعلمه ... كما رُزئت، ولا عُقبى كعُقباكا
أعطيت طاعة أهل الأرض كلهم ... فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاويةَ الباقى لنا خَلَفٌ ... إذا نُعَيت، ولا نَسمع بمنعاكا[3]

---

(١) ترجمته، ابن سعد: الطبقات، ٦/ ٢٠٥؛ الزبيري: نسب قريش، ١٢٧.
(٢) هو عطاء بن ابي صيفي بن قائف الثقفي. ينظر: البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٥.
(٣) ما تبقى من شعره، ٢٠٣-٢٠٤؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٥.

يجمع شعر ابن هَمام بين التعزية والتهنئة، ويشير إلى من يلى الخلافة بعد يزيد، وهو ابنه معاوية فى إشارة إلى استمرار نظام الخلافة الوراثى، ثم أخذ هذا النمط الشعرى طريقه بعد ذلك وشاع من عهد يزيد واستمر تحتَ ظلِّ شيوع النظام الوراثى فى الحكم. وفى هذا الاتجاه وقف أيمنُ بن خُريم الأسدى[1] بين يزيد وهو يقول:

تلقاهـــا يـــزيدُ عـــن أبـــيهِ ... فـــدونكها معاويـــة عـــن يـــزيدا
أديـــروها بنـــى حـــرب علـــيكم ... ولا تـــرموا بهـــا الغـــرضَ البَعـــيدا
فـــإنَّ دنـــياكم بكـــم اطمأنَّـــت ... فأولـــوا أهلـــها خُلقًـــا ســـديدا
وإن عـــصفت علـــيكم فاعـــصفوها ... عـــصافًا تـــستقيم لكـــم شَـــديدا[2]

إنه يؤشر لبدء مرحلة الحكم الوراثى تمتد من يزيد إلى ابنه معاوية، ويدعو آل أبى سفيان إلى حسن السياسة وقوة التمسك بالحكم.

بعد تولى يزيد الخلافة كتب إلى عبدالله بن الزبير[3] (ت، ٧٣هـ/ ٦٦٢م) يدعوه على بيعته، فكتب إليه ابن الزبير يدعوه إلى الشورى، وكان فيما كتب به يزيد:

لـــو بغـــيرِ المـــاءَ حلقـــى شَـــرقٌ ... كـــنتُ كالغـــصَّانِ بالمـــاء اعتـــصارِى[4]

فلما قدم عمرو بن سعيد[5] (ت، ٧٠هـ/ ٦٨٩م) واليًا على المدينة قال: "قد أقسم أمير المؤمنين ألا يقبل بيعة ابن الزبير إلا أن يؤتى به فى جامعة، فليبر يمين أمير

---

(١) أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك بن القليب، أحد بني أسد.
ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٥٣؛ الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٦٩.
(٢) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٣. والأبيات غير مذكورة في مجموع شعره.
(٣) صحابي بويع له بمكة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م وقتل سنة ٧٣هـ/ ٩٦٢.
ترجمته: ابن عبدالبر: الاستيعاب، ٢/ ٣٠؛ ابن حجر: الإصابة، ٢/ ٣٠٩.
(٤) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٦.
(٥) عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق قتله عبدالملك سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م.
ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ١٧٨؛ ابن حجر: الإصابة، ٣/ ١٧٥.

المؤمنين، فإنى أجعل جامعة خفيفة من ورق أو ذهب، ويلبس عليها برنسًا، ولا ترى إلا من يسمع صوتها"[1] وقال:

خـــذها فليـــست للعزيـــز بخطـــة ... وفـــيها مـــال لامـــرئ مـــتذلل

أعامـــر إن القـــوم ســـاموك خطـــة ... ومالـك فـى الجـيران عـذل معـذل[2]

فكان ذلك بداية الصراع على منصب الخلافة والذى صار حالة مشهودة فى الدولة الأموية، فقد كان يزيد يخشى رفض كبار أبناء الصحابة، فأرسل على الحسين بن على أبى طالب رضى الله عنه [3] (ت، ٦٠هـ/ ٦٨٠م) ليأخذ بيعته، فآثر التريث حين خرج إلى مكة[4] وقال:

لا ذعـرت الـسّوامُ فـى فلـقِ الـصُّبـ ... ـــح مغـــيرًا ولا دعـــيت يَـــزيدا

يـــومَ أعطـــى مخافـــةَ المـــوتِ ضَـــيمًا ... والمَـــنايَا تَرصُـــدننى أن أَحِـــيدا[5]

فأتته رسلُ أهل الكوفة فوجهَ إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن[6] أبى طالب (ت، ٦٠هـ/ ٦٧٩م) فنزل بالكوفة عند هانئ بن عروة[7] (ت، ٦٠هـ/ ٦٧٩م) فأخذهما عبيدالله بين زياد فقتلهما وصلبهما[8]، وقال شاعرهم:

فإنْ كنتِ لا تَدرين ما الموت فانظرى ... إلى هانـئ فـى الـسُّوق وابـن عَقـيلِ

تَـرى جَـسدًا قَـد غيَّـرَ المَـوتُ لـونَهُ ... ونَـضحَ دَمٍ قـد سـالَ كُـلَّ مـسَيلِ[9]

---

(١) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٤٦.

(٢) نفسه.

(٣) صحابي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل في وقعة الطَّف سنة (٦١هـ/ ٦٨م).
ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٣/ ٦٨؛ ابن جر: الإصابة، ١/ ٣٣٢.

(٤) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٤٧.

(٥) المسعودي: مروج، ٣/ ٥٤.

(٦) ترجمته: الزبيري: نسب قريش، ٨٤؛ ابن حبان: الثقات، ٥/ ٣٩١.

(٧) هاني بن عروة المرادي (ت، ٦٠هـ/ ٦٧٩م). ترجمته: الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٤٧؛ ابن حيان: الثقات، ٥/ ٥١٠.

(٨) ابن سعد: الطبقات، ٤/ ٤٢؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٥٠-٣٥١.

(٩) ابن سعد: الطبقات، ٤/ ٤٢؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣١٥٠-٣٥١؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٦٠.

وقاتل مسلم بن عقيل رجال عبيد الله بن زياد وهو يَرتَجِزْ:

أَقْسَمْتُ لا أُقْتَلَ إلّا حُرّا ... وإن رأيتُ الموتَ شَيئًا نُكْرَا
كُلُّ امرئٍ يَوما مُلاق شَرًّا ... وَيخلِطُ الباردَ سُخْنًا مُرًّا
رُدّ شعاع الشمس فاستقرا ... أخافُ أن أُكَذَّب أو أُغَرا[1]

ولقَد قَدّم الأخطل[2] (ت، نحو ٩٢هـ/ ٧١٠م) النصيحة لابن زياد فى مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة فقال:

أبلِغ أميرَ المؤمنين رِسالةً ... جزاء بنُعمَى، قبلَها، ووسَيلِ
بأنَّ عبيد الله سيفكَ، فيكُن ... أخًا، وخليلًا، دون كُلِّ خليل
بهِ رَحَمَ الله الجنودَ، فأقبَلت ... وقد مالَت الأهواءُ، كلَّ مميلِ
ولم يكُ عن يومِ ابن عروة غائبًا ... كما يغيبُ عن ليلةِ ابن عقيل[3]

وأرسل يزيد كتابًا إلى أهل المدينة وفيه:

يا أيها الراكِبُ الغادِى لطيتهِ ... على عَذافيره فى سيرة قحمِ
أبلِغ قُريشًا على نأى المزارِ بها ... بينى وبين الحسين الله والرحمِ
وموقف بفناءِ البيت ينشدهُ ... عهد الإله وما توفى به الذِّممِ
غنيتم قومكم فخرًا بأمِّكم ... أم العمرى حصان برة كرمِ
هى التى لا يدانى فَضلها أحدٌ ... بنتُ الرسولِ وخيرُ الناسِ قد علموا

---

(١) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٧٤. وللرجز روايات أخرى ينظر: ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٩٤؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٥٨-٥٩؛ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت، ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م): مقاتل الطبالبين، تحقيق: السيد أحمد صقر (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ)، ١٠٤.

(٢) اسمه غياث بن غوث بن الصلت التغلبي، شاعر أموي مشهور (ت، نحو ٩٢هـ/ ٧١م).
ترجمته: ابن سلام: طبقات، ١/ ٢٩٨؛ الآمدي: المؤتلف، ٢١.

(٣) الأخطل، غياث بن غوث التغلبي (ت، نحو ٩٢هـ/ ٧١م). شعره: تحقيق فخري قباوة، الجزء الثاني (دار الأصمعي، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ٥٣٩.

وفضلها لكم فضلٌ وغيركم ... من يومكم لهم فى فضلها قَسَمُ
إنى لأعلم حَقًّا غيرَ ما كذب ... والطرف يصدق أحيانًا ويقتضم
أن سوفَ يدرككم ما تدرون بها ... قتلى تهاداكم العقبان والرّخم
يا قومًا لا تشبهوا الحرب إذا سكنت ... تمسكوا بحبال الخير واعتصموا[1]

وحين عزم الحسين رضى الله عنه على الخروج دخل الحارث بن خالد المخزومي[2] وإلى مكة[3]، فقال:

رُبَّ مستنصحٍ يَغشُّ ويُردى ... وظنينٍ بالغيبِ يُلفى نَصيحا[4]

فلما خرج الحسين رضى الله عنه دخل عبد الله بن عباس رضى الله عنه المسجد فإذا هو بابن الزبير فى جماعة من قريش فقال ابن عباس:

يا لَكِ مِن قُبّرة بمعمرٍ ... خلا لَكِ الجوُّ فبيضى واصفرِى
ونَقّرى ما شئتِ أن تُنقّرِى

هذا حسين يخرج إلى العراق، وعليك بالحجاز[5].

ودعا ابن زياد عمر بن سعد بن أبى وقاص[6] أن يحول بين الحسين ﷺ والفرات فقال عمر:

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١١٨-١١٩.
(٢) الحارث بن خالد بن العاصي بن هاشم بن المغيرة المخزومي (ت، ٨٥هـ/ ٧٠٤م).
ترجمته: الأصفهاني: الأغاني، ٩/ ٢١٨؛ البكري: سمط، ٢/ ٦٤٥.
(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٨٢؛ ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١١٤؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٥٥.
(٤) المخزومي، الحارث بن خالد (ت، ٨٥هـ/ ٧٠٤م): شعره، تحقيق يحيى الجبوري، (منشورات مكتبة الأندلس، بغداد، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ٤٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٨٢.
(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٨٤.
(٦) عمر بن سعد بن أبي وقاص، قائد جيش ابن زياد لقتال الحسين، قتل سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م).
ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٢٤٣؛ ابن جر: تهذيب، ٧/ ٣٩٦.

دعانـى عبـيدالله مـن دون قـومِه ... إلى خطـةٍ فـيها خـرجت لحينـى
فـوالله لا أدرى وغنـى لواقـفٌ ... علـى خطـرٍ يعظـم علـى سـوينى
أأتـرك مُلـك الـرِّى رغـبةً ... أم أرجـعُ مذمـومًا بـثأرِ الحـسينِ
فـى قـتلهِ الـنار التـى لـيس دونَهـا ... حجـابٌ وملـك الـرّى قُـرَة عـينِ[1]

وحين نزل الحسين رضى الله عنه كربلاء قال:

يـا دهـرُ أفٌ لـك مـن خلـيلِ ... كـم لـك بالإشـراقِ والأصـيلِ
مِـن صـاحبٍ أو طالِـبٍ قَتـيلِ ... والدَّهـرُ لا يقـنعُ بالـبَديلِ
وإنّمـا الأمـرُ إلى الجلـيلِ ... وكُـلُّ حَـى سـالكُ الـسَّبيلِ[2]

وفى سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م)[3] سار الحسين رضى الله عنه فجاءه الحر بن يزيد التميمي[4] حتى وقف هو وخيله مقابله، وبقى يسايره حتى قاله له: يا حسين، إنى أذكرك الله فى نفسك، فإنى أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى، فقال الحسين رضى الله عنه: أفبالموت تخوفنى! ثم تمثل قائلًا:

سأمضى وما بالموتِ عارٌ على الفتَى ... إذا مـا نـوى حقًّـا وجاهَـد مـسلما
وآسـى الـرِّجالَ الـصالحين بنفـسهِ ... وفـارقَ مثـبورًا يَغـشُّ ويُـرغَمَا[5]

كان هذا الشعر متممًا للحدث التاريخى لأنه ينبثق من خلاله ليرسم صورة حية للوقائع خلال هذه المرحلة المضطربة بالصراعات.

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١٧٢-١٧٣.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٢٠. ولها رواية أخرى عند ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١٤٩؛ الأصفهاني: مقاتل: ١١٣.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٠٤.

(٤) هو الحر بن يزيد بن ناجية بن قعنب بن عتاب الردف بن هرمي بن رياح بن يربوع التميمي.
ترجمته: ابن الكلبي، جمهرة، ٢١٦؛ ابن حزم، جمهرة، ٢٢٧.

(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٠٤.

وأقبل عمير بن عبدالله الكلبى[1] ليقاتل عن الحسين فارتجز:

إن تنكرونى فأنا ابن كلب ... حسبى بيتى فى عُليمٍ حسبي
إنّى امرؤٌ ذو مرَّة وَعَصَبِ ... ولست بالخَوّارِ عند النَّكبِ
إنى زعيمٌ لكِ أمَّ وهبِ ... بالطّعنِ فيهم مُقدمًا والضربِ
ضربَ غُلام مؤمنٍ بالرَّبِّ[2]

أصبح الشعور بضرورة نصرة الحسين رضى الله عنه موقفًا لدى بعض جند العراق، فهذا الحر بن يزيد يترك جند العراق ويلتحق بالحسين وأصحابه، فكان أول من تقدم للقتال فقال:

إنى أنا الحرُّ ومأوى الضيفِ ... أضربُ فى أعراضكم بالسيفِ
عن خير من حلَّ بلادَ الخِنفِ ... أضربكم ولا أرى من حَيفِ[3]

وحين طعن قال أحد أصحاب الحسين رضى الله عنه:

لنعم الحرُّ حرُّ بنى رياحِ ... ونعم عِند مختلف الرِّماح
ونعم الحُرّ إذ نادى حسين ... فجادَ بنفسهِ عند الصباحِ[4]

وحمل كعب بن جابر على برير بن حَضير الهمدانى فقتله، فأنبته امرأته أو أخته لقتله سيد القراء[5] فكان كعب يمثل وجهة نظر جيش الأمويين حين يقول:

سَلِى تُخبرى عنى وأنتِ ذميمة ... غداةَ حُسين والرّماحُ شوارعُ

---

(١) أحد بني عُليم بن جَناب بن هبل، وهو عند ابن أعثم وهب بن عبدالله. ينظر: الفتق، ٥/ ١٩٠؛ ابن حزم: جمهرة، ٤٥٧.

(٢) البلاذري: أنساب، ٣/ ١٩٠؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٢٩.

(٣) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١٨٥.

(٤) نفسه، ٥/ ١٨٦.

(٥) كعب بن جابر بن عمرو الأزدي. ويزيد بن حَضير أحد قراء مسجد الكوفة. ينظر: الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٣٢.

ألم آتِ أقصى ما كرهتِ ولم يُخِلْ ... على غداةَ الرَّوعِ ما أنا صانِعُ
معى يَزَنى لَم تَخُنه كعوبُهُ ... وأبيضَ مخشوبَ الغِرارين قاطِعُ
فجردته فى عصبةٍ ليس دينُهم ... بدينى وإنّى بابنِ حَربٍ لقانِعُ
ولَم ترَ عينى مِثلهم فى زمانِهم ... ولا قبلَهم فى الناس إذا أنا يافِعُ
أَشدَّ قِراعًا بالسيوفِ لدى الوَغَى ... ألا كلُّ من يحمِى للذمار مُقارعُ
وقد صبروا للطعنِ والضَّرب حُسّرًا ... وقد نازلوا لو أنَّ ذلِكَ نافِعُ
فأبلغ عبيد الله إما لقيتَهُ ... بأنّى مطيعٌ للخليفة سامِعُ
قَتلتُ بُريرًا ثم حملت نِعمةً ... أبا مُنقذٍ لما دعا: مَن يماصع؟[1]

يشير إلى قتله بريرًا وطاعته للخليفة وقتاله مع جيش ابن زياد، فرد عليه رضى بن منقذ العبدى فقال:

لو شاء ربى ما شهدت قِتالَهم ... ولا جَعل النَّعماءَ عند ابنُ جابرِ
لقد كانَ ذاك اليومُ عارًا وسُبَّةً ... يُعيّره الأبناءُ بعد المعاشِرِ
فيا ليتَ أنى كنتُ مِن قبلِ قتلهِ ... ويوم حسينٍ كنتُ فى رمسِ قابِرِ[2]

وخرج عَمرو بن قَرظَة الأنصارى يُقاتل دونَ الحسين وهو يقول:

قَد عَلِمت كتيبةُ الأنصارِ ... أنّى سأحمى حوزَةِ الذِّمارِ
ضَربَ غُلامٍ غيرِ نِكسٍ شارِى ... دونَ حُسين مُهجتى ودارِى[3]

كما تقدم مسلم بن عوسجة الأسدى[4] وهو يرتجز:

إن تسألوا عَنى فإنى ذو لبدِ ... من فروعِ قومٍ من ذُرا بنى أَسدِ

---

(١) نفسه، ٥/ ٤٣٣.
(٢) نفسه.
(٣) هو عمر بن قرظة بن كعب الأنصاري. نفسه، ٥/ ٤٣٤.
(٤) قتله مسلم بن عبدالله الضبابي وعبدالرحمن بن أبي خُشكارة البجلي. نفسه، ٥/ ٤٣٦.

فمَـــن تَعامـــى حائِـــدُ الرَّشـــدِ وكافـــرٍ بـــدينِ جـــبَّارِ صَـــمَدِ[1]

وقد قاتل جمهرة من الفرسان[2] مع الحسين قتالًا مستميتًا كانوا فيه يرتجزون شعرًا مشيرين على أنسابهم وأفعالهم، فكان رجزهم سهلَ الحفظ كثيرَ التداول فأصبح بمرور الأيام وثيقةً تاريخيةً لها أثرها فى تدوين الأحداث، ومن هؤلاء الفرسان حبيب بن مظاهر[3] الذى قال رجزًا ذكر فيه اسمه واسم ابيه:

أنـــا حبـــيبٌ وأبـــى مظاهـــر فـــارسُ الهـــيجاء وحـــرب تَـــسعَرُ
أنـــتم أعـــدُّ عـــداة وأكثـــرُ ونحـــنُ أوفـــى مـــنكُمُ وأصـــبَرُ
ونحـــن أعلـــى حُجَّـــةً وأظهـــرُ حَقًّـــا وأتقـــى مـــنكمُ وأعـــذَرُ[4]

فلما قُتل حبيب بن مظاهر أخذ الحرُّ بن يزيد يرتجز:

آلـــيتُ لا أقـــتلُ حتـــى أقَـــتُلا ولـــن أصُـــاب الـــيومَ إلّـــا مُقـــبِلا
أضـــرِبهُم الـــسيفَ ضَـــربًا مِقـــصَلا لا ناكِلًـــا عـــنهُم ولا مَهَّلَلَـــا[5]

ثم قاتل زهير بن لاقين وهو يرتجز:

أنـــا زهـــيرٌ وأنـــا ابـــنُ القَـــينِ أَذُودُهـــم بالـــسَّيفِ عَـــن حـــسين[6]

وقاتل عبدالله وعبدالرحمن بن عزرة الغفاريان[7]، فقال أحدهما:

قـــد عَلِمـــت حَقًّـــا بـــنو غفـــارِ وَحِـــنْدِفٌ بعـــد بنـــى نِـــزارِ

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١٩٤.
(٢) من هؤلاء الفرسان: بشر بن عبدالله الأسدي وعمرو بن جنادة بن الحارث الأنصاري وعمرو بن عبدالله المذحجي وشعبة بن حنظلة التميمي وكثير بن عبدالله الشعبي. ينظر: الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٣٦ وما بعدها؛ ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١٦١ وما بعدها.
(٣) أخباره: الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٣٩.
(٤) البلاذري: أنساب، ٣/ ١٩٥ مع اختلاف الألفاظ؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٣٩.
(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٤٠-٤٤١.
(٦) نفسه.
(٧) ذكرها الطبري في تاريخه، ٥/ ٤٤٢.

لنـــضربنَّ معـــشرَ الفُجَّـــار بكـــلِّ عَـــضبٍ صـــارمَ بـــتَّارِ
يـا قـومُ ذُودوا عـن بنـى الأحـرارِ بالمَـــشرفى والقَـــنَا الخَطَّـــارِ[1]

وخرج عمرو بن خالد الأزدى يرتجز:

الـــيومُ يـــا نفـــسى إلى الـــرحمنِ تمـــضين بالـــروحِ وبالـــرَّيحانِ
الـــيوم تُجـــزينَ علـــى الإحـــسانِ قـــد كـــان مـــنكِ غابـــر الأزمـــانِ
مـا خَـطَّ فـى اللَّـوحِ لـدى الـدّيانِ لا تجزعـــى فكـــلُّ حـــى فـــانِ
والـــصَّبرُ أحظـــى لـــكِ بالأمـــانِ يـــا معـــشرَ الأزد بنـــى قحطـــانِ
كونـوا لـدى الحرب كأسدٍ حفانِ[2]

ثم تقدم ابنه خالد، وهو يشير مثل أبيه إلى نسبه القحطانى ويرتجز:

صَـبرًا علـى المـوتِ بنـى قحطـانِ كـيف تكونـوا فـى رضـى الـرحمنِ
ذى المجـــدِ والعـــزةِ والـــبرهانِ وذى العُلـــى والطـــولِ والإحـــسانِ
بأنـــنا قـــد صـــرن فـــى الجـــنانِ وفـــى قـــصورٍ حـــسن البنـــيانِ[3]

وحمل شِمرُ بن ذى الجوشن[4] عليهم وهو يقول:

خَلّـوا عُـداةَ اللهِ خَلّـوا عـن شِـمرِ يَـــضرِبُهُم بـــسيفِه ولا يَفِـــرُّ
وهـو لكـم صـابٌ وسَـمٌ ومَقِـرْ[5]

بعد أن تضاءل أصحاب الحسين رضى الله عنه حثا بين يديه يزيد بن زياد[6]،

---

(١) نفسه.
(٢) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ١٩٢.
(٣) نفسه، ٥/ ١٩٣.
(٤) شِمر بن ذي الجوشن، وهو الجوشن شرحبيل – بن الأعور بن عمرو بن معاوية بن كلاب. ترجمته: ابن حزم: جمهرة، ٢٨٧؛ الذهبي: ميزان، ٢/ ٢٨٠.
(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٤٢.
(٦) هو يزيد بن زياد بن المهاجر، أبو الشعثاء الكندي من بني بهدلة. نفسه، ٥/ ٤٤٥.

فوثق الحدث مقرونًا باسمه، لأن يزيدًا كان أولًا مع جيش عمر بن سعد ثم تركه والتحق مع الحسين وقال:

أنـــا يـــزيدُ وأبـــى مُهاجـــر ... أشـجع مـن لـيثٍ بغـيلٍ خـادِرْ
يـــاربِّ إنـــى لحـــسينِ ناصِـــرْ ... ولابـــنَ سَـــعدٍ تـــاركٌ وهاجِـــرْ[1]

ثم بدأ أهل بيته يخرجون تباعًا للقتال ويرتجزون، فكان أول من خرج[2] عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبى طالب وهو يرتجز:

الـيومَ ألقـى مُـسلمًا وهـو أَبـى ... وفتَـيةٍ ماتـوا علـى دينِ النبـى
لـيسَ كقـومٍ عـرفوا بالكَـذِبِ ... لكـن خـيار وكـرام النـسبِ[3]

وكذلك فعل جعفر بن عقيل وعبدالرحمن بن عقيل[4] فى توثيق النسب والإشارة إلى الحدث، فكان على الأكبر بن الحسين بن علي رضى الله عنه[5] (ت، ٦١هـ/ ٦٨٠م) أول قتيل من بنى طالب، فكان يشد على الناس ويرتجز:

أنـا علـى بـن الحـسين بـن علـى ... نحـــنُ وبـــيت الله أولى بالنبـــى
مـن شـبث ذاك ومـن شِـمر الدَّنـى ... أضـربكم بالـسَّيفِ حتـى يلـتوى
ضـربَ غـلامٍ هاشمـى عَلـوى ... ولا أزالُ الـيوم أَحمـى عَـن أبـى
والله لا يحكـم فيـنا ابـن الدّعـى[6]

وخرج عبدالله بن الحَسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه[7] وهو يرتجز:

---

(١) نفسه.
(٢) قتل سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م). ينظر: ابن قتيبة: المعارف، ٢٠٤؛ الذهبي: العبر، ١/ ٤٨.
(٣) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٠٣.
(٤) وكذلك خرج محمد بن عبدالله بن جعفر وأخوه عون. ينظر: ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٠٣-٢٠٤.
(٥) نسبه في: ابن حبيب: المحبر، ٤٣٨؛ الزبيري: نسب قريش، ٥٧.
(٦) الأصفهاني: مقاتل، ١١٤. مع اختلاف الروايات في: الزبيري: نسب قريش، ٥٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٤٦؛ ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٠٨-٢٠٩؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٦١.
(٧) ينظر: ابن حبيب: المحبر، ٤٩١؛ ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٠٦.

إن تنكرونـــى فأنـــا فـــرعُ الحَـــسَن ... سِـــبط النبـــى المـــصطفى والمـــؤتَمَنْ
هـــذا حـــسينٌ كأســـيرٍ مُـــرتَهَن ... بـين أنـاسٍ لا سُـقوا صـوت المُـزَنْ[1]

ما يلاحظ على معظم هذا الرجز الذى قيل أن قائليه ليسوا بشعراء؛ وإنما كانوا ينفعلون فى الموقف فيعبرون عن خلجات أنفسهم ومواقفهم، وهو ما يمنح النص أهمية خاصة تنبع من توثيقه للحدث وإبرازه لقيم البطولة؛ لذا حرص هؤلاء الفرسان على ذكر أسمائهم وقبائلهم مشفوعة بالإشارة على الحدث، فمن مظاهر الإصرار والإحساس بضرورة التضحية قول العباس[2] بن على بن أبى طالب رضى الله عنه (ت، ٦١هـ/ ٦٨٠م):

أقـــسمتُ بـــالله الأعـــزِّ الأعظَـــمِ ... وبالحُجـــورِ صـــادقًا وزَمـــزمِ
وذى الحطـــيم والفَـــنا والمحـــرّمِ ... ليخـــضبنَّ الـــيوم جـــسمى بالـــدَّمِ
أمـــا ذى الفـــضل وذى التكـــرم ... ذاك حـــسينُ ذو الفخـــارِ الأكـــرَمِ[3]

يعد الشعر الذى قاله الحسين رضى الله عنه حين بادر القوم بالقتال وثيقة تكشف عن سلسلة تدرج الصراع منذ عهد أبيه مرورًا بأخيه الحسن ثم التحامه بهم، فكتب التاريخ بالشعر وجعله أكثر تأثيرًا فى النفوس مع سهولة حفظه واتساع مساحة انتشاره، فقال:

كفـــرَ القـــومُ وقـــدمًا رغـــبوا ... عـــن ثـــوابِ ربِّ الـــثقلين
قاتلـــوا قـــدمًا علـــيًّا وابـــنَه ... حـــسن الخـــيرِ كـــريم الأبـــوينِ
حَـــسدًا مـــنهم وقالـــوا أجمعـــوا ... نقـــتل الآنَ جمـــيعًا للحـــسين
يـــا لقـــوم مـــن أنـــاسٍ رُذَلِ ... جمعـــوا الجمـــعَ لأهـــل الحَـــرمينِ
ثـــم ســـاروا وتواصـــلوا كهلـــهم ... باحتياجـــى لرضـــاءِ الملحـــدينِ

(١) ابن أعثم: الفتوح: ٥/ ٣٠٥.
(٢) ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٢١٧؛ الأصفهاني: مقاتل، ٨٤.
(٣) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٠٧.

لم يخالِفـا الله فـي سـفكِ دمـي ... لعبـيد اللهِ نـسلِ الكافـرينِ
وابـن سـعدٍ قـد رمانـي عـنوَةً ... بجـودٍ كوكـودِ الهـاطلينِ
لا شـيءَ كـان منـي قـبل ذا ... يعلـى الخـيرِ مـن بعـدِ النبـي[1]

وقال قاتل الحسين رضى الله عنه وهو سنان[2] بن أنس النخعى:

أوقِـر ركابـي فِـضَّةً وذهـبا ... أنـا قـتلتُ المَلِـكَ المُحجـبا
أنـا قـتلتُ خـيرَ الـناس أمًّـا وأبـا ... وخيرَهـم إذ يُنـسبون نَـسبا[3]

وأسهم الشعر فى توثيق عدد من قتل مع الحسين رضى الله عنه من أهل بيته وأنصاره من آل أبى طالب، فهذا مسلم بن قتيبة مولى بنى هاشم يقول:

عَـينُ جـودى بعـبرَةٍ وعـويلِ ... واندبـي إن نـدبتِ آل الرَّسـولِ
واندبـي تـسعةً لـصُلبِ علـيٍّ ... قَـد أُصـيبوا، وخَمـسةٍ لعقـيلِ
وابـن عـمِّ النبـي عَـونًا أخـاهم ... لـيس فـيما يَـنوب بالمخـذولِ
وسَـمِّى النبـي غـودِرَ فـيهم ... قَـد عَلـوهُ بـصارمٍ مـصقولِ
واندبـي كَهلَهُـم إذا مـا عُـدَّ ... فـي الخـبرِ كَهلـهم كالكَهـولِ
لعـنَ الله حـيث كـان زِيـادًا ... وابـنه والعجـوز ذات الـبُعول[4]

إنه يشير إلى تسعة قتلوا من صلب على، وخمسة من صلب عقيل بن أبى طالب، وإلى عون ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وأخيه محمد[5].

ورثى على بن الحسين رضى الله عنه[6] والده أمام يزيد فقال:

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢١٠-٢١١، هـ/ ٢١٣-٢١٤ نصوص أخرى.
(٢) ترجمته: الزبيري: نسب قريش، ٤٠؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٥٤.
(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٥٤؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٦١؛ الأصفهاني: مقاتل، ١١٩.
(٤) المسعودي: مروج، ٣/ ٦٢. وتروى متفرقة بروايات أخرى لسليمان قته في الأصفهاني: مقاتل، ٩١-١٠٢.
(٥) ينظر: الأصفاني: مقاتل، ٧٨-١٢٤.
(٦) هو علي الأوسط المعروف بزين العابدين (ت، ٩٢هـ/ ٧١٠م). ترجمته: ابن خلكان: وفيات، ٣/ ٢٦٦؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) سير أعلام النبلاء، تحقيق مأمون هو غاجري، الجزء الرابع (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ٣٨٦.

مـاذا تقولـونَ إن قـال النبـى لكـم ... مـاذا فعلـتم وأنـتم آخـر الأمـمِ
بعِترتـى وبأهلـى بعـد منقلبـى ... منهم أسارى ومنهم ضُرجوا بدمِ!
مـا كـانَ هـذا جزائـى إذ نـصحتكم ... أن تخلفونى بسوءٍ فى ذوى رَحِمى[1]

ورثى الحسين رضى الله عنه كثيرٌ من الشعراء، منهم أبو الأسود الدؤلى فقال:

يـا ناعـى الـدين الـذى يبغـى التُقـى ... قُـم وانعـه والبـيت ذا الأسـتارِ
ابنـى علـى آل بـيت محمَّـدٍ ... بالطـفِ تقـتلهم جُفـاةُ نـزارِ
سـبحان ذى العـرشِ العلـى مكانَـهُ ... أنـى يكابِـرُه ذوو الأوزارِ[2]

فأشار على قاتليهم من جفاة قبائل نزار، كما رثاه سليمان بن قته[3] فقال:

مـررتُ علـى أبـياتِ آل محمـد ... فلـم أَرَاهـا كعَهـدِها يـومَ حُلّـتِ
فـلا يُـبعد الله الـديارَ وأهلَهـا ... وإن أصبَحتْ مِـن أهلِهـا قَـد تخلّـتِ
وإنَّ قتـيلَ الطَّـفِ مـن آل هاشِـمٍ ... أذلَّ رقـابَ المـسلمِيَن فـذَلّتِ[4]

كما رثاه الشاعر أبو دهبل الجمحى[5] فقال:

إلـيك أخـا الـصَّبرِ الـشَجى صـبابَةً ... تُـذيبُ الـصُّخورَ الجامـداتِ همـومُها
عجِـبتُ وايّـام الـزَّمانِ عجائِـب ... ويظهـر بـين المعجـباتِ عظـيمُها

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٤٤-٢٤٥. ينظر: الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٦٧ البيتان الأول والثاني.
(٢) ديوانه، ٧٦. ينظر: قصائد أُخر: ٧٥-٧٦.
(٣) قته امه، وهو من بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. ترجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٤٨٧؛ المبرد، محمد بن يزيد (ت، ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م): الكامل في اللغة والأدب، الجزء الأول (مكتبة المعارف، بيروت، دون تاريخ)، ١٣١.
(٤) المبرد: الكامل، ١/ ١٣١. ولها روايات أخرى. ينظر: الزبير: نسب قريش، ٤١؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٦٤؛ الأصفهاني: مقاتل، ١٢١.
(٥) هو وهب بن زمعة بن أسيل، من بني جمح شاعر محسن مداح (ت، نحو ١٢٦هـ/ ٧٤٤م). ترجمته: الآمدي: المؤتلف، ١٦٨.

تَبيتُ النشاوى من أُميَّةُ نُومًا وبالطَّفِ قتلى ما ينام حَميمُها[1]

وثق رثاء أبى الأسود وسليمان قُتَهْ وأبى دهبل مكان الحدث وهو الطَّف[2]، مثلما وثق بعض تفاصيل الوقعة؛ لذا لم يكن هذا الرثاء من شعر البكائيات التى تهتم بميزات المرثى، وإنما كان رديفًا مؤثرًا للوثيقة التاريخية، وأظهر بعض هذا الشعر حالة النَدم لعدم الوقوف إلى جانب الحسين رضى الله عنه فى محنته، والذى تمثل بشعر عبيدالله بن الحر الجعفى[3] إذ قال:

يا لَكِ حَسرةٌ ما دمتُ حَيًّا تَردَدُ بينَ حَلقى والتَراقِى
حُسينًا حين يطلبُ بذلَ نصرى على أهلِ العَداوةِ والشِّقاقِ
ولو أنى أُواسيه بنفسى لنلتُ كرامَةً يَوْمَ التَلاقى
مع ابنِ المصطفى نفسى فداءٌ فيا لله من ألمِ الفِراقِ
غداةَ يقول لى بالقصرِ قَولاً أتتركنا وتزمَعُ بانطلاقِ[4]

وكان عبيدالله بن الحر نظر إلى مصارع الحسين وصحبه ثم مضى حتى نزل المدائن[5] وقال فى ذلك معلنًا عن ندمه لعدم نصره:

يقولُ أميرٌ غادِرٌ حقَّ غادرِ ألا كُنتَ قاتلتَ الشَّهيد ابن فاطِمَهْ
ونفسى على خذلانِهِ واعتزالِهِ وبيعة هذا الناكِث العهد لائمَهْ
فيا ندمى ألاّ أكونَ نصرتُهُ ألا كُلُّ نفسٍ لا تُسدّد نادِمَهْ

---

(١) أبو دهبل، وهب بن زمعة الجمحي (ت، نحو ١٢٦هـ/ ٧٤٤م): ديوانه، تحقيق عبدالعظيم عبدالمحسن (مطبعة القضاء، النجف، الطبعة الولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ٨٧-٩٠. والبيت الثالث منسوب لعبيد الله بن الحر الجعفي، شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٥.

(٢) الطَّف: ضاحية الكوفة على البرية. ياقوت: معجم البلدان، ٤/ ٣٦ (الطّف).

(٣) عبيدالله بن الحر بن عمرو الجعفي (ت، ٦٨هـ/ ٦٨٧م). ترجمته: ابن حبيب: المحبر، ٢٣٠؛ ابن حزم: جمهرة، ٤١.

(٤) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١٠٩؛ البيت الأول: البلاذري، أنساب، ٥/ ٩٢.

(٥) المدائن: جمع مدينة عاصمة الساسانيين قرب بغداد. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٧٤ (المدائن).

وإنـي لأنـي لم أكـن مـن حُماتِـهِ لـذو حسرةٍ مـا إن تفـارقُ لازمَـه[1]

وأظهر الشعر أيضًا حالةَ الاستياءِ عند بعض الأُسر كآل الحَكم مثلًا الذين استاءوا مما فعله عبيد الله بن زياد، فقال شاعرهم يحيى بن الحكم[2]:

لهـامٌ بجنبِ الطّـفِ أدنـى قَـرابَةً من ابن زيادٍ العبدِ ذى الحسبِ الوغلِ

سُـميَّة أمسى نَسلها عـددَ الحَصى وبنتُ رسـول الله لـيس لهـا نَسلُ[3]

كان الشعر ملازمًا للأحداث الساخنة التى واكبت تولى يزيد للخلافة وبالذات مصرع الحسين رضى الله عنه ومسيره من مكة إلى الطّف، وبقيت هذه القضية تتفاعل وتتسع بسبب سوء سياسة مواجهة الموقف المتفجر نتيجة تغير نظام الحكم إلى نظام وراثى وإهمال تولى أبناء كبار الصحابة الذين كان لآبائهم دور فى نصرة الإسلام فى أيامه المبكرة، لما يتمتعون به من سداد الرأى وعلم مخزون فى تفسير القرآن الكريم وحفظ وشرح الحديث النبوى الشريف.

وفى سنة (٦٣هـ/ ٦٨٢م)[4] بايع أهل المدينة عبدالله بن حنظلة[5] (ت، ٦٣هـ/ ٦٨٢م) وخلعوا بيعة يزيد وطردوا عامله عليها، فانتدب يزيد جيشًا كبيرًا لقتالهم ولى قيادته مسلم بن عقبة المرى[6]، فأقبل يزيد يتصفح الخيل ويقول:

أبلـغ أبـا بكـرٍ إذا اللـيل سَـرَى وهـبطَ القـومُ علـى وادى القـرى

عـشرون ألفًـا بـين كَهـلٍ وفتـى أجمـع سَـكرانَ مـن القـوم تَـرى!

---

(١) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٥-١١٦؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٧٠.

(٢) هو يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. ابن حزم: جمهرة، ٨٧.

(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٦٠؛ وعند الأصفهاني: لعبدالرحمن بن الحكم في الأغاني، ٣/ ٢٦٤.

(٤) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٣٣؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٨٢-٢٨٤.

(٥) هو عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب المعروف بابن الفسيل قتل في وقعة الحرة سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢ م. ترجمته: الذهبي: العبر، ١/ ٥٠؛ ابن حجر: الإصابة، ٢/ ٢٩٩.

(٦) أحد بني مرة بن عوف بن ذبيان هلك أو سنة (٦٤هـم٦٨٣م). ترجمته: الزبيري: نسب قريش، ١٢٧؛ الذهبي: العبر، ١/ ٥١.

أم جَمع يقظان نَفى عنه الكَرَى يا عجبًا من مُلحِدٍ يا عَجَبا!
مُخادِع فى الدين يقفو بالعُرى[1]

ويقال: أن يزيدًا لما عرض بجنده كتب إلى عبدالله بن الزبير (ت، ٧٣هـ/ ٦٦٢م) رقعة يقول فيها:

استعد ربَّك فى السماءِ فإننى أدعو إليك رجال عكٌّ وأشعِر
ورجال كلبٍ والسُّكون ولخَمُها وجُذام تقمُها كتائِب حِميرِ
كيفَ النجاءُ أبا خُبيبٍ منهم فاحتَل لنفسكَ قبلَ أتى العَسكرِ[2]

وثق ما قاله يزيد فى الأبيات الأولى عدد الجيش، وهو عشرون ألفًا، ووثق هذا الشعر أسماء القبائل التى قادها مسلم بن عقبة المرى وسار بها نحو المدينة، فلما اقترب جيشه تأهب عبد الله بن حنظلة للقتال وقال:

بعدًا لِمن رامَ الفَساد وطَغى وجانَبَ الحقَّ وآياتِ الهُدى
لا يُبعد الرحمن إلا مَن عَصى[3]

كان مسلم بن عقبة يجلس على كرسى ويحمله الرجال وهو يقاتل ابن الغسيل يومَ الحَرَّة[4] ويقول:

أحيا أباه هاشِم بن حَرملَهْ يوم الهبانَين ويومَ العُملَهْ
كُلُّ الملوكِ عندَهُ مغربَلَهْ وَرُمحُه للوالداتِ مثكَلَهْ
لا يُلهِثُ القَتيل حتى يجدِلَهْ يَقتل ذا الذَّنبِ ومَنْ لا ذنبَ لَهْ[5]

وممن قتل يومَ الحرَّةَ مَعقل بن سِنان[6] وفيه قال الشاعر:

---

(١) شعره، ٣٩؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٨٤.
(٢) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٣٤.
(٣) نفسه، ٢-٤/ ٣٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٩٠ وأثرت رواية الطبري.
(٤) هي حرة واقم أحد حرتي المدينة. ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٢٤٩ (حرة واقم).
(٥) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٩١.
(٦) معقل بن سنان الأشجعي (ت، ٦٣هـ/ ٦٨٢م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٣/ ٣٩٣؛ الذهبي: العبر، ١/ ٥٠.

فأصبحت الأنصار تنعى سراتها وأشجع تبكى معقل بن سنان[1]

وقتل أيضًا فى يوم الحرة يعقوب بن طلحة بن عبيد الله[2] فقال فيه عبدالله بن الزبير الأسدى:

لعمرُك ما هذا بعيشٍ فيبتغَى هنىءٍ ولا موتٍ يُريحُ سريعُ
لعَمرى لقد جاءَ الكَررَّس[3] كاظِمًا على أمرِ سَوءٍ حينَ شاع فَظيعُ
نَعى أسرةً يعقوبُ منهم فأقفَرتْ منازِلُهم من رَومةٍ فبقيعُ
كلهم غيثُ إذا قحط الوَرى ويعقوبُ منهم للأَنامِ ربيعُ[4]

أما على بن عبدالله بن عباس[5] (ت، ١١٨هـ/ ٧٣٦م) فإن أخواله من كندة وأناس من ربيعة منعوه من بطش مسلم بن عقبة فقال:

أبى العباسُ قَرم بنى لؤى وأَخوالى الملوك بنو وَليعَهْ
هُم منعوا ذِمارى يومَ جاءَتْ كَتائبُ مُسرِفٍ[6] وبنى اللَّكِيعَهْ
أرادَنى التى لا عِزَّ فيها فحالَت دونَه أَيدى ربيعَهْ[7]

وقد بين هذا الشعر العبءَ الذى تحمله أهل المدينة من جراءِ عسف مسلم بن عقبة المرى فلقبوه بـ (مسرف)، حتى وثقَ العديدَ من الشعراء إسرافَه وعَسفه فى قتالِ أهلِ المدينةِ كما قال أحد شعرائها:

---

(١) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٣٩؛ ابن الكلبي: جمهرة، ٤٥٣.

(٢) يعقوب بن طلحة بن عبيدالله التيمي القرشي (ت، ٦٣هـ/ ٦٨٢م). ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٥/ ٥٥٣؛ الذهبي: العبر، ١/ ٥٠.

(٣) الكروَّس: هو يعقوب بن طلحة. ينظر: الزبيري: نسب قريش، ٢٨٢.

(٤) ديوانه، ٩٦-٩٧؛ الزبيري: نسب قريش، ٢٨٢.

(٥) علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي (ت، ١١٨هـ/ ٧٣٦م). ترجمته: ابن حبان، الثقات، ٥م١٦٠؛ الذهبي سير، ٥/ ٢٥٢.

(٦) مسرف: لقب مسلم بن عقبة المري سموه به أهل الحجاز لأنه أراد أهل المدينة جميعًا أن يبايعوا ليزيد على أن كل واحد عبد قن له. ينظر: المبرد: الكامل، ١/ ١٥٢.

(٧) البلاذري: نساب، ٢-٤٠٤؛ المبرد: الكامل، ١/ ١٥٢؛ المسعودي: مروج، ٣/ ٧١.

رمانا يزيدٌ بابنِ عقبة مسلم ... فلا سَلِمَت حدثًا من الحدثانِ
يقود إلى أهلِ المدينةِ جَحفلاً ... له لَجبٌ كالبحرِ في الجريانِ
يُقتِّل سُكانَ المدينةِ عِنوَةً ... وقد أصبحوا صَرعى بكلِّ مَكانِ[1]

يمثل هذا الشعر موقف أهل المدينة الذين وثقوا الحدث وتعسف عقبة، في حين بقي الطرف الآخر قلقًا غير قادر على بيان المظاهر الإيجابية في هذه الشخصية فانساق وراء وصفه بـ (مسرف) كما في قول أرطاة[2] بن سهية:

لحا الله فَودى مُسرفٍ وابنَ عَمِّهِ ... وآثار نعلي مُسرفٍ حيث آثرا
مررتُ على ربعيهما فكأنني ... مررتُ بجبَّارينَ من سروِ حميرا
على أن ذا العلياء عُمارة لم أَجِد ... على البُعدِ حسَن العهدِ منهُ تَغيَّرا
حباني ببرديه وعَنس كأنَّما ... بنى فوقَ متنيها الوليدان قَهقَرا[3]

بينما بدا موسى شهوات[4] مولى آل الزبير ساخرًا من سياسة الحرب ضد أهل المدينة حين يقول:

إن في الخندقِ المكلَّلِ بالجـ ... ـدِ لضَربًا بسُوءِ ذا النشواتِ
لستَ منَّا وليسَ خالك منا ... يا مَضيعَ الصَّلاةِ للشهواتِ
يرفَع الدُّبُّ واحمِلَ القِردَ وانزلْ ... في بلادِ الوحوشِ بالفلواتِ
فإذا ما غلبتَنا فتَنَصرْ ... واتركُنَّ الصلاةَ والجُمُعاتِ[5]

---

(١) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٢٩٨.

(٢) هو أرطاة بن زفر بن عقفان من بني مرة بن عوف بن سعد، وسيهة أمه (ت، ٨٦هـ/ ٧٠٥م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١/ ٤٢٧؛ البكري: سمط، ١/ ٢٩٩.

(٣) أرطاة بن سهية (ت، ٨٦هـ/ ٥٠٧م): شعره، تحقيق صالح محمد نايف، مجلة لامورد المجلد (٧)، العدد الأول، (بغداد، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ١٧٨.

(٤) هو موسى بن يسار المدني (ت، نحو ١١٠هـ/ ٧٢٨م). ترجمته: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٨١؛ البكري: سمط، ٢/ ٨٠٧.

(٥) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٣٥؛ الدينوري: الأخبار، ٢٦٥ غير معزوة لأحد.

وبعد المدينة توجه مسلم المرى نحو مكة سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م)[١] التى أعلن عبدالله بن الزبير عدم اعترافه بخلافة يزيد وأنه أولى بها منه وأنه لا يريد جمع الأموال وكنزها، وغنما يريد الإصلاح وتطبيق العدالة، وفى ذلك يقول عبدالرحمن بن الحكم:

ثكلتكَ أُمُّكَ من إمامِ جماعَةٍ ... أيضِلُّ رأيُكَ فى الأمورِ ويعزُبُ

مُتوسِّد إذ فالّتهُ جبألُ ... هَلباءُ أو ضِبعانُ سُوءٍ أهلَبُ

ألهاكَ برقُعةُ الضياعِ عن العَمَى ... حتى أتاكَ وأنتَ لاهٍ تلعَبُ[٢]

ويخاطب الضحاك بن فيروز الديلمى[٣] ابن الزبير فيقول:

تقول لنا أن سوف يكفيكَ قبضةٌ ... وبطنُكَ شِبرٌ أو أقلَّ من الشِّبرِ

وأنت إذا ما نلت شيئًا قبضَةٌ ... كما قَضمت نارُ الغَضا حطبَ السِّدرِ

لكم سُنَّة الفاروقِ لا شىءَ غيرُها ... وسُنَّة صِديقِ النَّبى أبى بَكْرِ

فلَوما أتقيتَ الله لا شىءَ غَيرُه ... إذًا عَطِفَتكَ العاطفات على عَمروِ[٤]

وفى الطريق إلى مكة مات مسلم المرى فتولى قيادة الجيش الأموى حصين بن نمير السُّكونى[٥] الذى حاصر مكة وقذف البيت بالمجانيق[٦]، فكان جنده يرتجزون:

خطارة مثل الفِنيق المزبدِ ... نَرمى بها أعوادَ هذا المسجدِ[٧]

---

(١) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٢٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٩٦-٤٩٧.

(٢) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٢٩٧، ٢٠٤/ ١٠.

(٣) ترجمته: ابن حبان: الثقات، ٤/ ٣٨٧؛ ابن حجر: تهذيب، ٤/ ٣٩٤.

(٤) البلاذري: نساب، ٢-٤/ ٢٧.

(٥) حصين نمير السكوني، أحد أمراء يزيد بن معاوية. ترجمته: ابن حبيب: المحبر، ٤٩١؛ ابن حجر: تهذيب، ٢/ ٣٣٧.

(٦) الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٩٦-٤٩٨.

(٧) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٤٨؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٩٨.

وعندما احترقت مكة قيلت الأشعار حول هذا الحدث، منها قول عبيدالله بن قيس الرقيات[1]، وكان زبيرى الهوى:

لـــيس لله حُـــرمة مِـــثل بـــيتٍ ... نَحْـــنُ حُجّابُـــه علـــيه المُـــلاءُ
خَـــصَّه اللهُ بالكـــرامةِ خالـــيًا ... دون والعاكفـــون فـــيه سَـــواء
حَـــرَّقه رجـــالُ لخْـــمٍ وعَـــدكٌ ... وجُـــذام وحِمـــير وصُـــداءُ[2]

يشير الشاعر إلى مجموعة من قبائل اليمن التى شاركت فى حصار ابن الزبير، ورميها البيت بالحجارة، ويبدو أن نوازع الصراع القبلى بين قبائل اليمن والقبائل القسية بدأ يأخذ صورة واضحة، لأن الشاعر قرشى النسب يرى أن قبائل قيس تهاب الإقدام على هذا الفعل نتيجة قربها من مكة وأواصر النسب بينها وبين أهل الحجاز.

وحمل بعض أصحاب ابن الزبير نارًا فأطارتها الريح فاحترق ما حول الكعبة واحترقت أستارها وتصدعت فبناها بعد ذلك، فقال بعضهم:

ابـــن الـــزبير رئـــيس مـــا تولّـــى ... إذا حَـــرَّقَ المَقـــامَ والمُـــصلّى
قِـــبلة مـــن حَـــجَّ معًـــا ولبّـــى[3]

وقال أبو قطيفة، عَمرو بن الوليد بن أبى معيط:

جَلبنا لكم من غَوطَةِ الشامِ خيلنا ... إلى أرضِ بـــيت الله بُعَـــد مجلَـــبِ
تلـــودُ قـــريشٌ كُلُّهـــا بلـــوائِهِ ... لأَمحضَ منها فى قريشٍ وأطيبِ[4]

---

(١) أحد بني عامر بن لؤي، سمي بالرّقيات لنه شبب بنسوة يقال لكل منهم رقية، (ت، ٨٦هـ/ ٧٠٥م).
ترجمته: ابن سلام: طبقات، ٢/ ٦٤٨؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢/ ٤٥٠.

(٢) الرقيات، عبيدالله بن قيس (ت، ٨٦هـ/ ٧٠٥م): ديوانه، تحقيق محمد يوسف نجم (دار صادر – دار بيروت، بيروت، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م)، ٩٥.

(٣) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٥٣؛ ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٣٠٢.

(٤) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٥٣.

وكان ابن الزبير يقاوم جيش يزيد ويقول:

أنـــا إذا عـــضَّ الـــثقا فُ بـــرأسِ صـــعدتنا أَبيـــنا[1]

وبين الشعر ظهور اتجاه بين الموالى يستند إلى تذمرهم من سوء الأوضاع التى هم فيها، فهم يقاتلون من دون أن تكون لهم مسؤولية القيادة أو يكسبوا شيئًا، فهذا مولى خزاعة يقول:

أبلِـغ أمـيةَ عنـى إن عرضـتَ لهـا وابـن الـزبير وابلـغ ذلـك العَـربا
إنَّ المـوالى أضـحَت وهـى عاتِـبَةٌ على الخليفةِ تشكو الجوعَ والحَربا
إخـوانكم أنْ البلاءُ حَـلَّ سـاحتكم ولا تَـرون لـنا فـى غـيرهِ سَـبَبا
نُعاهِـدُ الله عَهـدًا لا نَخـيسُ بـهِ لن يُقَبلُ الدَّهَر شورَى بعدَ مَن ذهبا[2]

وعندما وصلَ خبر وفاةِ يزيد على سلم بن زياد[3] فى سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) لم يصدقه أولًا وأغلق الباب عليه فقال فيه شاعره حنظلة بن قيس بن عروة[4] التميمى بعض الأبيات، منها قوله:

يـا أيُّهـا الـرجلُ الملَـقُ بابَـهُ حـدثت أُمـورٌ شـأنهن عَظـيمُ
حـدثت أمـورٌ فـى أمـيَّةَ جَمَّـةٌ ويـزيدُ أُعِلـنَ شـأنه المكـتومُ
طَـرقَت منيـته وعـندَ وسـادتِهِ عُـودٌ وزِقٌ راعِـفٌ مـرثُومُ[5]

وقال فضالة بن شريك[6] لما مات يزيد:

رمـى الحـدثانُ نـسوة آل حـربٍ بفقـدانِ سَـمَدن لـه سُـمودا

---

(١) نفسه، ٢-٤/ ٤٩.

(٢) نفسه، ٢-٤/ ٥٩.

(٣) هو أخو عبيدالله بن زياد. رجمته: ابن قتيبة: المعارف، ٣٤٨؛ ابن حبان: الثقات، ٤/ ٣٣٤.

(٤) ابن خياط: تاريخ، ١/ ٢٤٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٤٩٩.

(٥) لعله هو حنظلة بن عرادة، لأن الشعر منسوب أيضًا له. ترجمته: ابن دريد: الاشتقاق، ١/ ٢٤٧.

(٦) ابن أعثم: الفتوح، ٥/ ٣١٠. وفي رواية أخرى لابن عرادة: البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٦١.

فـــردَّ شـــعورهن الـــسُّودَ بِيـــضًا ورَدَّ وجـــوههن البـــيض سُـــودا[1]

وكتب الحارث بن عباد بن زياد[2] إلى عبيدالله بن زياد بالبصرة بعد موت يزيد بهذه الأبيات:

ألا يـا عُبـيد الله قـد مـاتَ مـن بـهِ مَلكـــتَ رقـــاب العـــالمينَ يـــزيدُ
أتثـبتُ للقـــومِ الـــذين وتـــرتهم؟ وذاكَ مـــن الـــرَّأى الـــزَّنيقِ بعـــيدُ
ومالـــك غـــير الأزدِجـــار فـــإنَّهُمْ أجـــاروا أبـــاك، والـــبلادُ تَمـــيدُ[3]

يشير هذا الشعر على خشية مؤيدى يزيد ودولة الأمويين من خصومهم، واحتمال أن تنتفض عليهم القبائل التى تعرضت لضغطهم، لذا فإن اللجوء إلى الإجارة من القبائل القوية المتنفذة التى لها كيان وهيبة بين القبائل الأخرى يقى الولاة من أساليب الانتقام التى قد تحصل، فقد أوصى الحارث بن عباد عمه باللجوء إلى حى من الأزد، لأنهم إذا أجاروه منعوه[4] مما يعنى أن القبائل كانت تعتمد فى ترتيب أوضاعها الأمنية على قدراتها الذاتية فى حالة غياب السلطة المركزية.

لقد وثق شعر رثاء يزيد مكان وفاته فى حُوّارين[5] فقال رجل من عنزة:

يـــا أيهـــا القـــبر بحواريـــنا ضـــممت حـــيرَ الـــناس أجمعينـــا[6]

ووصف شعر الأخطل جنازة يزيد وما كان يجرى حولها من بكاء الموالى والنساء فى رثائه له فقال:

لعَمرى، لقـد دلّـى إلى اللحـدِ خالـدٌ جـنازَةَ لا كابـى الـزّنادِ، ولا غُمْـرِ

---

(١) شاعر كوفي حجة. ترجمته: المرزباني: معجم الشعراء، ١٧٦-١٧٧.
(٢) نفسه، ١٧٧.
(٣) هو ابن أخي عبيد بن زياد. ينظر: الديبوري: الأخبار، ٢٨١.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه.
(٦) البلاذري: أنساب، ٢٠٤/ ٦١. وفي رواية شر الناس. ينظر: المسعودي: مروج، ٣/ ٥٣.

مقـيمٌ، بحُـوّارين، لـيس يـريمُها ... سقتْهُ الغوادى، من ثوى ومن قَبرِ
تـصبح المـوالى، إن رأوا أُمَّ خالِـدٍ ... مُسَلَّبَةً، تبكى على الماجدِ، الغَمرِ
إذا جـاء سـربٌ، مـن نـساءٍ يَعُـدنَها ... تَجرَّدنَ، إلا من جلابيبَ، أو خُمرِ[1]

يبدو أن الأخطل كان قريبًا من الحدث ومكانه لأنه استطاع أن يعرض الموقف بوضوح وبالذات وصف المظاهر الخارجية، ولم يول المشاعر الإنسانية التى اختزنتها نفوس أهله اهتمامًا خاصًا، فقد كانت وفاة يزيد المفاجئة فى ظل ظروف استثنائية تسودها الصراعات بسبب تغير نظام الحكم من الشورى إلى الوارثة والذى أحدث رفضًا من لدن كبار أبناء الصحابة الذين رفضوا مبايعة يزيد على وفق الأسلوب الذى قام عليه تولى يزيد للخلافة إذ كان خروج الحسين رضى الله عنه أول الأمر رفضًا واضحًا لسياسة العسف، كما كانت وقعة الحَّرة فى المدينة دليلًا ثانيًا، ثم كان لجوء ابن الزبير إلى مكة ورفضه مبايعة يزيد دليلًا ثالثًا على أن الحجاز ما يزال يحتفظ بروحية الرسالة وسنن الخلفاء الراشدين. هذا فضلًا عن اعتقاد كبار أبناء الصحابة بأنهم أولى من يزيد بالخلافة وأنه لم ينل إجماع المسلمين بالشورى.

معاوية بن يزيد بن معاوية[2] (٦٤هـ/٦٨٣م)

أخذ يزيد بن معاوية البيعة من الناس لابنه معاوية قبل موته حتى تبقى الخلافة محصورة ضمن البيت الأموى السفيانى، وتولى معاوية الخلافة على هذا الأساس، وهو ابن سبع عشرة سنة، ولكنه لم يستمر سوى أربعينَ يومًا، لكثرة الاضطرابات والنزاعات فيما بين الأشخاص الطامعين بالخلافة، وعكس ابن هَمَّام السلولى حالة الاضطراب هذه بقوله:

إنـى أَرى فتـنةً تغلـى مـراجلُها ... والمُلكُ بعد أبى ليلى لِمَن غَلَبا[3]

---

(١) ديوانه، ٢/ ٥٣٣؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٦١.

(٢) ترجمته: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٢/ ٢٠٥؛ الذهبي: سير، ٤/ ١٣٩.

(٣) ما تبقى من شعره، ٨٥؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٦٢ وفيه لبعض بني فزارة، الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٠٠.

ومع ذلك فإن السلولى قد طلب الالتزام بما تعاهدوا عليه وهو الولاء للخليفة معاوية الثانى فقال:

خلافةُ ربكم خافوا عليها ... إذا عُمِرَتْ، خنايسَةً أُسُودا
تُعلمُّها الكُهُول المرد حتى ... تَذِلَّ بها الأكُفُّ وتستَفيدا
إذا ما بانَ ذو ثِقةٍ تَلَقَّتْ أخا ... ثِقَةٍ بها صَنعًا مُجيدا
تَلقّفها يزيدٌ عن أبيهِ ... وخُذها يا مَعاوى عن يَزيدا
أديروها بنى حربٍ عليكم ... ولا تَرموا بها الغَرَ البَعيدا
فإنَّ دنياكُم بكُم اطمأنَّت ... فأولُوا أهلها خُلُفًا شديدا[1]

وظهرت فى بعض الأمصار حالات تمرد على سلطة الخلافة، ففى البصرة دعا أهل البصرة عبيدالله بن زياد على أن يقوم بأمرهم حتى يصطلح الناس على إمام يرتضونه لأنفسهم، ثم أرسل رسولًا إلى الكوفة يدعوهم إلى مثل الذى فعل أهل البصرة، فأبوا عليه، فخالفه أهل البصرة، قالوا: أتخلعه الكوفة ونبايعه نحن هذا ما لا يكون؟ فوثب الناس به، فاستجار عبيدالله بالأزد[2]، وقيل لحق بالشام[3]، فقال واقد بن خليفة السعدى[4]:

يا رُبَّ جَبَّارٍ شديد كَلَبُهْ ... قَد صار فينا تاجُهُ وسَلَبُهْ
منهم عبيدُالله حين نَسلبُهْ ... جِيادَهْ وبِزَّهْ وننهبُهْ
يومَ التقى مُقنبُنا ومِقنبُهْ ... لَو لَم يُنجُ ابن زيادٍ هَربُهْ[5]

---

(١) ما تبقى من شعره، ١٨٩.
(٢) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ٩٧-٩٨.
(٣) الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٠٣.
(٤) أحد بني صخر بن منقر من كعب بن سعد. أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٧٣٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢١.
(٥) أبو عبيدة: النقائض، ٢/ ٧٣٥؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢١ وأثرت روايته.

وهجا يزيد بن المفرغ الحميرى عبيدالله بن زياد وعيره بفرار من دار الإمارة:

أقــرَّ بعينــى أنــه عــقَّ أمَّــهُ ... دعــتُه فــولاها استَهُ وهــو يهــربُ
وقــالَ: علـيك الـناس كونـى سـبيَّةً ... كمـا كُـنتِ أو موتـى، فالموت أقـربُ
وقــد هــتفت هِــندٌ بــه مــا أمرتنــى ... ابــن لى وخبّرنــى إلى أيــنَ أذهــبُ؟
فقـال: أقـصدى الأزد فـى عرصـاتِها ... وبَكــرًا فمــا أن عــنهم مُتجــنَّبُ
بمــا قَــدَّمت كفــاكَ مالــكَ مهــربٌ ... مــن القــومِ يــومًا والــدِّماءُ تُــصيبُ
لــو كنتَ صُلبَ العُودِ أو ذا حَفيظةٍ ... كَــرَرت علــى هِــندٍ وهــندٌ تُــسحَّبُ
وغــادرتَ مَــسعودًا رهيــنةَ حــتفِهِ ... يمــجُّ بخـيعَ الجَـوفِ وهـو مُلُحَّـبُ[1]

وقال أيضًا:

أعُبــيدُ هَلّــا كُــنتَ أوّلَ فــارسٍ ... يــومَ الهــياجِ دعــا لِحيــنِكَ داعِ
أسـلمتَ أُمَّـك والـرِماحُ شـوارع ... يــا ليتنــى لــك لَلــيلَةَ الأفــزاعِ
لابــن الــزُّبير غَــداة يَجمِــعُ أمــرَهُ ... أولى بغايَــةِ كُــلِّ يــومِ وقــاعِ[2]

ونتيجة لحصول الفراغ السياسى بايعت تميم عبدالله بن الحارث الهاشمي[3] فقال حارثة بن بدر الغدانى:

نَــزعنا وأمــرَّنا بكــرُ بــن وائِــلٍ ... تَجــرُّ خُــصاها تبتغــى مــن تُحالِــفُ
ولمــا بــاتَ بكــرى مــن الدَّهــرِ لَــيلَةً ... فيُــصبحَ إلا وهــو للــذُّلِّ عــارِفُ[4]

وبايعت الأزد زعيمها مسعود بن عمرو العَتكى[5] فقال رجل من أصحابه:

---

(١) ديوانه، ٦٤-٦٧.
(٢) ديوانه، ١٥٩؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٠٠.
(٣) يمسى بَبَّهْ. ترجمته: أبو عبيدة: النقائض، ١/ ١١٢؛ ابن حزم: جمهرة، ٢٠.
(٤) شعره، شعراء أمويون، ٢/ ٣٥٤؛ أبو عبيدة: النقائض، ١/ ١١٢؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٠٥؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥١٦.
(٥) مسعود بن عمرو بن عدي، يقال له: قمر العراق، كان سيد الأزد. ترجمته: ابن حبيب: أسماء المغتالين، ٢/ ١٧١؛ ابن دريد: الاشتقاق، ٢/ ٥٠٢.

لأنكحـــــنَّ بَـــــبَّهْ جاريـــــةً فـــــى قُـــــبَّهْ
تُمـــــشُطُ رأس لَعَـــــبهْ[1]

فلما دخلت الخوارج وقتلت مسعودًا قال سوّار بن حيّان المنقرى[2]:

ألم تكُـن فـى قـتلِ مـسعودٍ عِبَـرْ جـــاءَ يُـــريد إمـــرَةً فمـــا أَمَـــرْ
حتـى ضـربنا رأسَ مـسعودٍ فَخَـرْ ولَـم يُوَسِّـد خـدَّهُ حـيثُ انعفَـرْ[3]

وقال غطفان بن أنيف الكعبى[4] أيضًا:

كـــيف تَـــرانا وتَـــرى الأَمـــيرا بـــصَرحَةِ المِـــربدِ إذ أُبـــيرا
نقـــودُ فـــيه جَحفلًـــا جـــرورا أكثـــر جمعًـــا حَلَقًـــا مـــسمورا
وصـــــارمًا ذا هَيـــبةٍ مأثـــورا فقـــدَّ قَـــدَّ الجـــازرِ الجَـــزورا
لَمَـــا رَجَـــا مـــسعودٌ الـــتأميرا وأصـــبح ابـــن مِـــسمَع مَحـــصورا
وقـــد شَـــببنا حـــولَهُ الـــسَّعيرا[5]

وقال جرهم بن عبدالله بن قيس[6] قال قتل مسعود:

ومَـــسعودَ بـــن عمـــرو إذ أتانـــا صَـــبحنَا حَـــدَّ مَطـــرُورٍ سَـــنينَا
رجـــا الـــتَّأميرَ مـــسعودٌ فأضـــحى صَـــريعًا قـــد أزَرنـــاهُ المَـــنونا[7]

وقال عبيد الله بن الحر الجعفى:

ومـا زلـتُ أرجـو الأزدَ حتـى رأيـتها تُقَـــصّرُ عـــن بنـــيانِها المـــتطاوِلُ

---

(١) البلاذري: أنساب، ٢٠٤/ ١٠٧؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥١٧.
(٢) ترجمته: أبو عبيدة: النقائض، ١/ ١١٧؛ ابن حبيب: أسماء المغتالين، ٢/ ١٧٢.
(٣) أبو عبيدة: النقائض، ١/ ١١٧؛ ابن حبيب: أسماء المغتالين، ٢/ ١٧٢.
(٤) ترجمته: البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١١٠؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢١.
(٥) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١١٠-١١١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢١ ينظر ما قاله سؤد الذئب.
(٦) أحد بني العدوية. الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢١.
(٧) الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢١.

ومقَـتلُ مـسعُودٍ ولَـم يـثأروا بـهِ وصارَتْ سُيوفُ الأزدِ مثل المناجلِ[1]

يبدو أن سن مسعود بن عمرو العتكى عند قتله كانت فى الثمانين من عمره لقول الهيثم بن الأسود النخعى:

عَـلا النعـى لمـسعودٍ فقلـت لَهُـم نِعـمَ اليمانـى تَنعـى أيُّهـا الناعـى
وفـى ثمـانينَ لا يـسطيعُه أحـدٌ حتـى دعـاه لـرأس العِـدَّةِ الدَّاعـى
آوى ابـن حربٍ وقـد سُلّت مذاهبُهُ وأوسـع الـسُّربَ مـنه أى إِسـاعِ[2]

ووَّلى أهل الكوفة أمرهم عامر بن مسعود[3]، وهو الذى يقال له دحروجة الجُعَل لقصره، فقال السلولى:

أشـدُد يـديكَ يـزيدٍ إن ظفـرت بـهِ واشفِ الأرامِلَ من دحروجةِ الجُعَلِ[4]

يتبين مما سبق ذكره بأن أمصار الدولة الأموية شهدت فرقة وصراعات عديدة ولم تعد تخضع لمركز الخلافة، وأن العراق وما يتبعه قد انشق إلى شطرين، فاستطاع ابن الزبير أن يستحوذ على بعض الأمصار ويوسع دائرة نفوذه على حساب وحدة السلطة المركزية، وبهذا كان العهد السفيانى يشهد نهايته وانحلال قوة الدولة وتفكك عراها، وأصبح من الضرورى ظهور رجل قوى يستطيع أن يعيد لهذه الدولة هيبتها وقدرتها على الاستمرار، رجل قوى يجمع بين صرامة الموقف وبين حسن السياسة وهيبة السؤدد مع القدرة على المطاولة وكسب المؤيدين والأنصار.

---

(١) شعره، شعراء أمويون، ١/ ١١٣؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢٧.
(٢) البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٠٠؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢٦ في رواية أخرى.
(٣) عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي القرشي. ترجمته: البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٠١؛ الطبري: تاريخ، ٥/ ٥٢٩.
(٤) ما تبقى من شعره، ٢-٩؛ البلاذري: أنساب، ٢-٤/ ١٠١؛ الطبري: